هكـذا غنـى

طاغور

* * *



ترجمـة

خليفة محمد التليسي

الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر

هكذا غنّى طاغور

هكذا غنّى طاغور

المسلمي

* * *

ترجمة:

خليفة محمّد التلّيسي

الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر

رقـم الايداع بدار الكتب الوطنيـة
89/673
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى



تواريخ هامة في حياة طاغور

1861 في يوم 6 مايو من هذا العام ولد الشاعر بمدينة كلكتا في أسرة معروفة بالعراقة والوجاهة والمكانة العلمية الأدبية. فقد كانت لوالده مكانة دينية واجتماعية بارزة في إقليم البنغال، كما تميز إخوته وأخواته بالنبوغ الأدبي والفني والموسيقي، مما هيأ له الفرصة لأن يترعرع في بيئة غنية بالثقافة متفتحة على مختلف التيارات والاتجاهات الأدبية والفلسفية الهندية والشرقية والغربية.

1875 وفاة والدته *. وكان حينذاك في الخامسة عشرة من عمره. نشر بواكيره الشعرية الأولى في احدى المجلات الأدبية التي كانت تصدر بكلكتا.

وحين قارب العشرين من عمره نشر أولى مجامعيه الشعرية بعنوان (أغاني الصباح) ثم أتبعها (بأغاني المساء) فكان بذلك يدشن عهدا جديدا في مسار الشعر البنغالي الحديث.

1877 أرسله والده إلى انجلترا لدراسة القانون. فلم يوفق إلى التخرج فيما أراد له والده من اختصاص ولم يلبث أن عاد إلى بلاده دون شهادة. ولكنه عاد بحصيلة وافرة من المعلومات والتجارب التي غذت اهتماماته في مجالات الأدب

* انظر المقدمة في الجزء الأول من المجموعة.

والموسيقى . وبعد إقامة استمرت أربعة عشرا شهرا عاد إلى بلاده مواصلا نظم الشعر وكتابة الدراسات الأدبية .

1883 وفي 9 ديسمبر من هذا العام تزوج مربنا ليني دبي .

1890 قام برحلة ثانية إلى أوربا زار فيها انجلترا مارا بفرنسا وايطاليا . وذكر الرحلات هناأمر هام في حياة طاغور ، وماحققه من شهرة عالمية ، وقد اتخذ من هذه الرحلات جسرا يصله بكبار الأدباء في العالم والتعريف بأدبه ورسالته في أرجاء المعمورة .

1891 عين نائبا لرئيس أكاديمية الآداب في البنغال ومن ذلك الحين انصرف انصرافا كاملا إلى النشاط الأدبي وكرس جهوده لخدمة الحركة الأدبية والعلمية في بلاده التي أخذ يعني بشئونها السياسية .

1901 أسس بشأنتي نيكتان مدرسة صارت فيما بعد الجامعة الدولية فسفابهاراتي .

1902 وفاة زوجته .

1904 وفاة ابنته .

1905 وفاة والده .

1907 وفاة ابنه الأكبر .

وقد كان لهذه الأحداث المحزنة أثر عميق في نفسه ، وشعره ينعكس بشكل حاد في كثير من قصائده . وفي وفاة ابنته كتب ديوانه الطفل الذي ترجمه إلى الأنجليزية بعنوان الهلال .

1909/1912 كتب خلال هذه الفترة ديوانه جنتجالي (قربان الأغاني) ونشره باللغة البنغالية 1910 وهو العمل الذي صنع له شهرته العالمية ونال به جائزة نوبل للآداب فكان أول شاعر شرقي يظفر بها .

1912 قام بزيارته الأولى للولايات المتحدّة ألقى فيها جملة من المحاضرات تحول إلى انجلترا في زيارة ثانية حيث التقى بالشاعر عزرا باوند ووليام بتلر يتس وهما الشاعران اللذان نهضا بعبء تعريف الغربيين به وكان طاغور قد قام اثناء الرحلة بترجمة

بعض أشعاره إلى الإنجليزية وحين اطلع عليها الشاعر الإنجليزي يتس تحمس لها .

1912 في نوفمبر من هذا العام نشر ديوان جتنجالي بالإنجليزية بتقديم الشاعر الايرلندي يتس .

1914 منح طاغور جائزة نوبل على هذا الديوان وقد خصص ربع الجائزة لتطوير جامعته المعروفة ومنحته جامعة كلكتا لقب الدكتوراه الفخرية .

1915 منحته الحكومة البريطانية لقب (سير) وهو اللقب الذي أعاده إلى الحكومة البريطانية عقب الأعمال القمعية التي قامت بها في سنة 1919 بإقليم البنجاب .

1916 زار اليابان .

1917 زار الولايات المتحدة مرة ثانية وألقى سلسلة من المحاضرات . كما انتخب في هذه السنة رئيسا للمؤتمر الوطني بكلكتا .

وعني في هذه الفترة بالعمل على تطوير جامعته وتوسيعها، فلم يكتف برصد ربع جائزة نوبل والحقوق العائدة فقام بجولة جديدة حول العالم استغرقت أربعة عشر شهرا لجمع التبرعات لهذه الجامعة .

1921 تمكن طاغور بعد جهد كبير من افتتاح جامعته العالمية فيسفابهاراتي وهي تسمية استوحاها طاغور من أحد الأبيات الشعرية السانسيكريتية وتعني المكان الذي يتحد فيه العالم في وكر واحد .

1922 زار فرنسا وانجلترا والدانمرك والسويد وألمانيا .

1924 زار ماليزيا والصين واليابان .

1925 حل ضيفا على الحكومة الفاشية الإيطالية وحسبت عليه تصريحاته السياسية التي تتسم بالسذاجة وطيبة النفس أكثر مما تعبر عن الموقف السياسي المناصر .

كما عين في هذه السنة رئيسا للمؤتمر الفلسفي بالهند .

1926 قام خلال هذه الفترات بعدة رحلات حول العالم زار خلالها سويسرا ، النمسا ، وفرنسا حيث كان ضيف الكاتب الفرنسي الشهير رومان ورلاند ، ثم زار أيضا انجلترا والنرويج ، ويوغسلافيا ، بلغاريا ورومانيا ، وتركيا ، واليونان ومصر حيث كان موضع حفاوة من الأوساط السياسية والأدبية واحتفى به الشاعر أحمد شوقي في بيته كرمة بن هاني ، وزار أيضا ماليزيا والصين واليابان وكندا والهند الصينة والدنمرك وروسيا والولايات المتحدّة .

وكان خلال هذه الرحلات يقوم بالتبشير بمبادئه ويقرأ شعره ، ويجمع التبرعات لجامعته ، ويقيم العلاقات مع أبرز الشخصيات الأدبية والفكرية والسياسية في عصره . وعرض في أوربا وامريكا بعض لوحاته مقدما بذلك وجها آخر من وجوه مواهبه المتعددة .

1928 بدأ في ممارسة هواية الرسم .

1929 رحلات إلى كندا واليابان وسايجون .

1930 عودة إلى انجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا وروسيا .

عرض رسومه في برمنجهام ولندن وبعض العواصم الأوربية .

1932 رحل إلى العراق وإيران بطريق الجو . وفاة حفيده الوحيد .

1933 وكان في هذه المرحلة قد جاوز السبعين من العمر فاستراح إلى الإقامة في بلاده وكف عن التجوال سوى رحلة قصيرة قام بها إلى سيلان .

1940 آخر لقاءات طاغور مع غاندي في سانتي نكتان . جامعة اكسفورد تعقد اجتماعا في سانتينيكتان لمنحه درجة الدكتوراه الفخرية . وهو شرف لم يحظ به غيره من قبل ، فالمعروف أن الجامعات تمنح هذا التكريم في مقارها التاريخية .

1941 في يوم 17 اغسطس من هذا العام توفي الشاعر العظيم في الثمانين من عمره في البيت الذي ولد فيه فبكاه العالم وفقد فيه شاعرا من شعراء الأنسانية الكبار .

1948 اغتيال غاندي .

1949 إعلان استقلال الهند .

مِن قصائِد الأمَل والتّحدّي

من شعر الأمل والتحدي

البَخُورُ يذُوبُ لِيَتَحَلَّلَ فِي العِطْر
والعِطْرُ يَذُوبُ لِكَي يَلْتَحِمَ بالبَخُور
والنَّغَمُ يَسْعَى لِمُعانَقَةِ الإيقَاع
بَيْنَمَا يَعُودُ الإيقَاعُ مُتَدَفِّقاً في النَّغَم
والفِكَرَةُ تَبْحَثُ عن هَيْأَتِهَا فِي الصُّورَة
والصُّورَةُ تَبْحَثُ عَنْ حُرِّيَتِهَا فِي الفِكرَة
واللاَّنِهَائِي يَبْحَثُ عَن لَمْسَةِ النِّهَائي
والنِّهائِيّ يَبْحَثُ عن انعِتَاقِهِ فِي اللاَّنِهَائي
أيَّ مَأْسَاةٍ هَذِهِ تَجْرِي بَيْن الخَلْقِ والتَّدْمِير
وهَذِهِ الحَالَةُ بَيْنَ الفِكْرَةِ والصُّورَة
العُبُودِيَّةُ تُصَارِعُ الحُرِّيَة
والحُرِّيَةُ تَبْحَثُ عَن رَاحَتِهَا فِي العُبُودِيَّة

قاهر الموت

عِنْدَما كُنْتُ بَعِيداً عنك
كُنْتُ أُفَكِّر أَنَّكَ قاهِرٌ لاَ يُغْلَب
وقَاسٍ لاَ يَرْحَم
وأن العَالَم كُلَّه يَرتَجِفُ تحت قَدَمَيْك .
لَقد كُنْتَ قَاسِياً حَقّاً
وكانَ لَهِيبُكَ النَّهِم
يَخْتَرِقُ قَلْب المَحْرُوم
وحَرْبَتُكَ تُنْزِلُ الرَّعْد
ولَكِنّي اقْتَرَبْتُ مِنْك بِقَلْبٍ مُرْتَجِف
وكَانَ جَبِينُكَ المُقَطِّب يُنْذِرُ بِالدَّمَارِ القَرِيب
وَهَبَّت عَاصِفَةٌ

فَاهْتَزَّ لَها وُجُودِي كُلُّه
وَسَأَلْتُ
أَلَم تَعُد تَبْلُغُنَا آخَرُ رُعُودِك؟
وَقَصَف الرَّعْد
أَهَذَا هُوَ كُلُّ شَيءٍ؟ أَلَيْس هُنَاكَ شَيءٌ آخرَ؟
وعِنْدَمَا رُفِعَ سَيْفُكَ
ذَهَبَ خَوْفِي
لَقد ظَنَنْتُ أَنَّك أَكبَرُ مِنِّي
وَنَزَلْتَ مِنَ عَلْيَائِك إِلى الأَرض
حَيثُ أُقِيمُ
لَقد صِرْتَ اليَوْمَ فِي نَظَرِي مَخْلُوقاً صَغِيراً
وَخَوْفِي مِنْكَ قَد تَبَدَّد
وَمَهْمَا كُنْتُ كَبِيراً
فَلَن تَكُونَ أَكْبَرَ مِنْ المَوْت
وَلَكِنِّي أَنَا؟

أنا أكبر مِنْ المَوْت
وسأعْلِنُ ذَلِكَ عِنْدَمَا أُغَادِرُ هَذِهِ الأرْض

* * *

سؤال

يَا إِلَهي

لقد أَرْسَلْتَ رُسُلَك إلى هَذَا العَالَمِ الكَرِيه

عَصْرَاً بَعْدَ عَصْر

وَقَدْ هَتَفُوا فِي النَّاس :

اطْرَحُوا مِنْ قُلُوبِكُم كُلَّ رَغْبَةٍ فِي الشَرّ

واغفِرُوا وأَحِبُّوا

إنَّهم سَاداتنا

وَفِي تَقْدِيسِنَا لَهُم

نَحْفَظُ ذِكْرَاهُم

وَلَكِنّي فِي هَذَا اليَوْم

سَرَّحْتُهُم جَمِيعاً

بِتَحِيَّة فَارِغَةٍ جَوْفَاء

لَقَد رَأَيْت الشَرَّ

يَقْتُلُ بِخُبْثِ الإِنسَانَ الأَعْزَل

والسُّلْطَةَ الوَقِحَة تَخْنُقُ صَوْتَ العَدْل

الذي كَانَ يَبْكِي فِي غُرْبَة

وَرَأَيتُ الشَبَابَ الغَضَّ يَحْتَجُّ فِي لَوْعَةٍ جَامِحَة

وَيَضْرِبُ رَأْسَه ضِدَّ الصَّخْرِ الجامد

اليَوْمَ

تَعَطَّلَ صَوْتِي

وَصَمَت نَايِي

واختَفَى عَالَمي فِي حُلُم ٍ شِرِّير

ومَعَ ذَلِكَ فَإِني أَسْأَلُكَ مُتَضَرِّعَاً بَاكِياً

هَؤلاء الذينَ سَمَّمُوا جَوَّكَ

وَأَطْفَأُوا نُورَكَ

هَلَ غَفَرْتَ لَهُم وَعَفَوْتَ عَنْهُم ؟

وهل شَمَلهم حُبُّك؟

النداء

لَقَدْ سَأَلتُ وَأَعَدْتُ السُّؤَال
أين سَتَنْتَظِرُني على حَافَّةِ الطَّرِيق
وأين سَتَبْسِطُ لي حَصِيرَكَ
فِي زَاوِيَةٍ مُنْعَزِلَة؟
مَا كدت أَسمَعُ نِدَاءَك يَتَرَدَّدُ فِي الفَضَاء
حَتَى أَسْرَعْتُ إلى المَرْجِ
المُبَلَّلِ بالنَّدَى
والخَافِق بالأَضْوَاء
وَبَحَثْتُ عَنْكَ فِي هَمْسِ مُوسيقى النَّهر الصَّاخِب
وَسَمِعْتَ دَوْمَاً نَايَكَ يَعْزِفُ أَنْغَامَه
حيثُ السُّحبُ تَخْلُق بِأَلوَانِهَا المُخْتَلِفَة عَالَم (مايا)
وحيثُ الظِّلَالُ تَتَلَاعَبُ فَوْقَ المَاء

وَطَائِرُ القُمْيْرِي يَقْفِزُ على أَغْصَان الشَّجَر
وَتَوَاصَلَ نِدَاءُ نَفِيرِكَ كَمَا لَو كَانَ يَبْحَثُ عَنِّي
وَمَع ذَلِكَ فَإِنّ عَقْلِي لَم يَنْهَض مِن فُتُورِه
ولم أُهْرَعْ حَتَى إِلى الخَارِجِ لِمُلاَقَاتِك
بَل وَقَفْتُ مُتَمَهِّلاً مُتَبَاطِئاً عند البَاب
لَقَد سَمِعْتُ نِدَاءَكَ هُنَاك
حَيْثُ يُحْتَقَرُ الإِنْسَان
وحيثُ النُّور يَمُوتُ فِي قَلْب المَكْرُوب
وحيث السَّجِين يَبْكِي فِي زِنْزَانَتِه
وحيث الأَساس الصَّخْرِي يَهْتَزُّ
وَحَيْثُ النَّارُ الدَّاخِلِيَّةُ تُرْجِفُ الأَرْض
وحيث سَلاَسِل العُصُور تَرْتَمي مَكْسُورَة

* * *

الدين الزائف

أُولئِكَ الذينَ يُعَانِقُون الوَهْم بِاسم ِ الدِّين
يَقْتُلُون وَيُقْتَلُو ن .
حَتَّى المُلْحِدُ يَحْصل عَلَى بَرَكَة اللَّه
فَلاَ تَفْخَرْ بِدِينك
إنه يُوقِد فِي خُشُوع ٍ مِصْبَاحَ العَقْل
وَيُقَدِّمُ تَمْجِيده لاَ إِلى الكُتُب
وَلَكِنْ لِكُلّ شَيءٍ طَيِّبٍ فِي الإِنْسَان ،
إن الطائفِي يَلْعَنُ دِينَهُ
حِينَ يَقْتُلُ إنساناً مِنْ غَيْر دِينِه
وَهُوَ لاَ يُقَوِّمُ السُلُوكَ على ضَوْءِ العَقْل
وَيَرْفَع فِي المَعْبَد
العَلَمَ المُلطّخَ بِالدِّمَاء

وَيَعْبُدُ الشَّيْطَان فِي صُورَةِ الإلّه
كُلّ هَذا الذِي تَمّ عَبْرَ الأحْقَابِ والعُصُور
مَخْجِلٌ وَوَحْشِيّ
قَد وَجَدَ مَلاَذَه فِي مَعَابِدِكم التِي تَحَوَّلت إلى سُجُون
لَقَدْ سَمِعْتُ أصْوَات أبْواقِ التَّدْمِير
تَبْلُغُ الزَّمَنَ بِمِكْنَسَتِهَا الجَارِفَة
لِتكْنِسَ كُلّ المُهْمَلاَت .
كُلُّ مَا يُحَرِّرُ الإنْسَانَ
يُحَوِّلُونَه إلى قُيُود .
وَكُلُّ مَا يُوَحِّدُهُ
يُحَوِّلُونَه إلى سُيُوف .
وَكُلُّ مَا يَحْمِلُ الحُبَّ
مِنْ النَّبْعِ الخَالِدِ
يُحَوِّلُونَه إلى سُجُون .
يُحَاوِلُون اجتِيَازَ النَّهْر

فِي سَفِينَةَ مَثْقُوبَة .

يَا إِلَهي

دمِّر الدِّين الزَّائِفَ

وانقذْ الأَعْمَى

ولتْهَشِّمْ، ولتهَشِّمْ

المَعْبَد المُلَطَّخ بالدِّمَاء

وَدَع هَزِيمَ الرَّعْدِ يَنْفَذ إلى سِجْن الدِّين ِ الزَّائِفِ

واحمِل إلى هَذِهِ الأَرض ِ التَّعِسَةِ

نُورَ المَعْرِفَة

* * *

الرحّال

أيُهَا العَابِر

أنتَ وَحْدَك

كَيْفَ يُمْكِنك أن تُبْصِر المَجْهُول الكامِنَ فِي أَعمَاقِك؟

لقد تَابعتَ أَثنَاء اللَّيل

السيرَ في الدربِ الذي لَم تَطْرُقهُ مِنْ قَبْل

وَرَأيتَ المُرْشِد فِي السَمَاء

وَكُنْت تَسِير وَحْدَك

وَتَسَلَّقتَ وَحْدَكَ القِمَّة العَالِيَّة التي تُسَافِر مِنْها

نجْمَةُ الصَبَاحِ فِي رِحْلَةٍ مَعْ النُور

إن الشَلاَّلِ الَّذي يَتوَلَّدَ مِنْ دِفءِ أبرِيل

يَحْمِلُ رُؤْيَة مُسْتَقْبَلِه البَعِيد

وَجَمَالُه يَفُوقُ الوَصْف

« أنا موجود ، أَنَّا مَوْجُود»

هَذِهِ التَرْدِيدَة تُزْهر

وَسَمَاعُ نِدَائِهَا

يَجْعَلُ المِيَاهَ تَجْرِي نَحْوَ المَجْهُول

وبمثلِ ذَلِكَ، تَهْمِسُ الرِسَالَة الصَامِتة

وَيَتَرَدد صِدَاهَا فِي أَعْمَاقِكَ

وَفِي كُلِ تَنْهِيدة يَتَرَدد الجَوَاب الكبير

« أنا مَوْجُود ، أنا مَوْجُود »

والصخُور الكَبِيرة

تُعَرْقِلُ الطَرِيق

وَتُرَدِدُ التّحذير

كلا . . كَلا . . كَلا

والأمْواجُ تهدرُ ضِدَّ المادةِ الجَامِدِةِ

والشَكَ يَرْفَعُ إِصبَعَه

وَيَرْتَجِفُ الجَبَانُ

والعَقْلُ الكَسُول يَسْتَدْعِي الخَوْف
وَفِي بَحْثِهِ عَنِ الخَلاَص
يَنْتَهِي إلى المَوْتِ.
فِي الدَّرْبِ الضَيِّقِ للحياةِ الجَدِيدَة
أنتَ الرَّحَالُ الذِي يَتَجَاهَلُ كُلّ حَد
فَيَستَوْلِي عَلَى المَنِيع
وَفِي كُلْ خُطْوَةٍ يَتَرَدَّدُ الجَوَابُ
« أنا مَوْجُود، أنا مَوْجُود »

الدائم التحرُّك

بِصَرْخَةٍ يَائِسَةٍ :
لاَ تَرْحَلْ
مَن الذي يَدْعُو إلى الوَرَاء؟
أين هُوَ ذَلِكَ الرِّبَاط
الذِي يَجْعَلُ اللاَّمَحْدُودَ مَحْدُودا؟
إن الكَوْن مِثْلُ سَيْلٍ دَافِق
يَجْرِي جَارِفاً كُلَّ شَيء
فِي الابْتِسَام والدُّمُوع
كَلاَّ : كَلاَّ : كَلاَّ .
هَذِهِ الصَّرْخَةُ قَد سُمِعَت فِيمَا أَبْعَدَ
مِنْ بَحْرِ الزَّمَنِ العَظِيم
وَيَتَرَدَّدُ صَدَاهَا فِي طَبْل (رودرا) الرَّهِيب

أيُّها الفِكْر
دَع خَلْفَكَ كُلَّ شَهوةٍ، كُلَّ خَوْفٍ، وَكُلَّ عَنَاء
إن نَهْر الخَلْق
لَيس سِوى السَّيل الذي لاَ حَدَّ لَه مِنْ التَّدْمِير
وَكُلُّ شَيءٍ يَمْضِي
والآنَ.. أنَا أُحِبّ
بَيْنَما
تَتَأَلَق ابتِسَامَة الوُجُودِ فِي سَيْلِها البَهِيج.
وَسَط التَّدْمِير
ومن (فِينا) المَوْت
يَنْسَكِبُ نَشِيدُ الحَيَاة
وَمِنْ وَقْتٍ إلى آخَر
وَفِي أَعْمَاقَ قَلَقِهَا
يَرْتَجِفُ بِلُطْفٍ
مِصْبَاحُ الأَبَدِيَّةِ

مُضِيئاً سَرَابَ لَحْظَة .

إن نَهْرَ الدُّموع المَجْهُول

يَحْمِلُ فِي تَيَّارِه الجَارِف

حُبَّ الأُمّ

وَرِسَالَة العَاشِق .

وَفِي مِيْدَانِ مَعْرَكَة الدَّمَار

فَإِنَّ شَجَاعَةَ البَطَل كَنْزٌ جَمَال للأرض.

وَمَدَى الزَّمَنِ لاَ يَقِيس قِيمَة العَطِيَّة

التي يُسكُبُها اللاَّنِهَائِي

فِي الأَيْدِي المَمْدُودَة فِي هَيأة كَأْس .

العابر الفَانِي

طَالَمَا ظَلَّ مُسْتَمِرًا

فَقَوِّمهُ بِحَيَاتِك كُلِّها

وَحِينَ تَبْتَعِد عَرَبَةُ الوَدَاع عن المَاضِي

ناسية نفسها وَمُغَنِيَّةً أَنَاشِيدَ النَّصْر

افْسَح الطَّرِيق

لَقَد استَوْلَى عَلَيْكَ الأسى

حِينَ كُنْتَ فِي الأُرْضِ الصَغِيرَة

وَلَكِن لَم يَكُن مِنْ أَجْلَ مَا هُوَ مَوْجُود

فَيِمَا وَرَاء الحَيَاة

إنَّه يَعِيش فِي قَلْبِ الوُجُود

إن لَم يَكُن فِي صِيغَة أَكِيدَة فَبِشَكْلٍ آخر

فاخرُجْ مِن بِئْرِكَ العَمِيقَة

تَحْتَ القُبَّة السَّماوِيَّة

وانظُر شَكْلاً سَعِيداً مِنْ أَشْكَالِ التَّدْمِير

أيها المُتَأَلِم

إن فقَّاعة لَوْعَتِك

تَتَلاَشَى

فِي مُحِيطِ اللاَّمُؤْلِم

* * *

الطريق المفتوحة

لِتَبْعُدْ
ولتُفْسِحْ الطَّرِيقَ
إنَّ عَقْلَكَ يَنُوءُ تَحْتَ وَطْأَة الشَكِّ
وَمَجْرَى الحَيَاةِ يَسِيلُ بِبُطْء
عَلَى أَنْغَامِ مُوسِيقَى المِيَاهِ الرَّقْرَاقِة
وَشطحَاتِ البَهْجَةِ المُنْتَشِيَة .
إن أَمْوَاجَه وَحْدَهَا هِي التي تُخَفِّفُ ثِقْلَ المَاضِي
وَبِاخْتِنَاقِهَا المُقْلِق
تُعَدِّلُ طُرُقَ الحَيَاةِ المُلْتَوِيَة.
وَدَوِيُّها يَحِلُّ عُقَد شَبَكة الحَيَاة
وَيُطَهرُهَا مِنْ كُل عَدْوَى.
وَتطْوِي سَأم الأَيَّام

إنَّها كالسُّحُبِ التي تَشْرَبُ فِي ضوء الصَّباح
وَهِي مِثل أَمْواج البَحْر التي لا تُحْصَى
ومِثل زَفْرَة الرِيَاحِ التِي تَهُبُّ بِلاَ هَدف
وَمِثْل حَفِيفِ الشَّجَرَ الذِي لاَ يَتوَّقَفْ
والذِي يُبْهِجُ قَلْبَ الأَرْض
إِنَّها مِثل الشُّعَاعِ الأَوَّل لِلضِّيَاء
يَنْبَعِثُ عَلَى حَافَةِ اللَّيلَةِ السَّالِفَة
إِنَّهم أَطْفَال يَمْرَحُون عِنْدَ الشَّاطِىء
وَعَذَارَى تَشِعُّ بِشَبَابِها الفَيَّاض
وَقُيُودُهُم تُرَدِّد صَدَى أُغنِيَة الحُرِّيَة
ليس فِي قُلُوبِهِم خَوْفٌ
وَلاَ قَلَقٌ عَلَى المُسْتَقْبَل
وَفِي المُسْتَقْبَلِ هُمُ الفَائِزُون
وَعِنْدَ نِدَاءِ المَجْهُول
يَظْهَرون مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَحَدْب

فِي الظَّلاَمِ ، وَفِي النُّورِ
وَيَنْدَفِعُون لِمُوَاجَهَةِ الوَقَائِع
عِنْدَ حُلُولِهَا
لِتَذْهَبْ بَعِيداً
أَيُّها الجَبَانُ الذِي يَنُوءُ بِثِقْل الشَكِّ

* * *

الشـــرق

اِسْتَيْقِظْ ، أَيُّها الشَّرْقُ العَريقُ
إن ليلَ العصورِ المُظْلم
قد دثَّرَكَ بِظُلُمَاتِه الكَثيفَةِ
وبيْنَ يَقْظَتِكَ ومَنَامِكَ
بَدَّدَكَ في بحرِ النِّسيانِ
اسْتَيْقِظْ أَيُّها الشَّرْقُ العريقُ
إن أَنْغام الحياةِ المتنوِّعَةَ قد خَفَتَتْ
كَمَا تَخْفُتُ أنغامُ الحُبَاحِبِ المُحْتَضِرَةِ
فمتى يَرْقُصْ في نَبْضِكَ من جَديدٍ
نِداءُ النُّورِ؟
استيْقظ أَيُّهَا الشَّرْقُ العرِيقُ
من الذي يتلقَّى رسَالَتَه؟
إنِي هُنا في انْتِظارِ اللَّحْظَةِ

التي تـحوِّلُ فيهَا صخْرةُ المقارنة بالفجْر الجديدِ
هذه الأرض، إلى ذهب
اسْتيقظْ أيُّها الشَّرْقُ العريقُ
إنّي أتَوسَّلُ بِيَدَيْن مضمومتيْنِ.
في تَحْطِيمك لجذُوع العهْدِ القَديمِ
يمْكن للشَّكْل الجَديد أن يتفتَّحَ من جديد
في المَجْدِ الزَّاهي للشَّمس التي تبزغُ
اسْتيْقِظْ أيُّها الشرقُ العريقُ
إن العَهْدَ الجَديدَ يُعْلنُ عن نَفْسِهِ في هَذا الهُتَاف:
افْتحْ، افْتح الباب ، وبَدِّدْ الظلْمةَ
فالنُّور المُتَوَلِّدُ عنْ الألم والعناء
سَيَتأَلَّقُ أمامكَ
اسْتيْقِظْ أيُّهَا الشَّرْقُ العريقُ

الإنسان الطائر

إنّ الآلَة العُظْمى جعلت الإنسانَ طَائِراً
وَأذعَنَتِ اليَابِسَةُ وَالمَاء لِحكمِه وَركَعَتْ تحْتَ قَدَمَيْه
والجَوُّ وَحْدَهُ ظَلَّ حُرًّا
إن الأَجْنِحَةَ هِيَ هِبَةُ اللَّهِ للطُّيُور
وَفَرْحَتُهَا تَتَفَتَّح وَتَتَجَلَّى فِي خُطُوطٍ وألوَان
تلكَ الرَّحالات المُتَعَدِّدَات الأَلْوَان
رَفِيقَات الغيمة
تَنتَمِي إلى نَفْسَ مَهَبّ الرِّيح فِي السَّمَاء الزَّرقَاء
وَلَعِبُها يَتَّفِقُ مَع إيقَاعِ الريح
وَأَناشِيدُهَا مَع ألحان السَّمَاء
وَهَكَذَا فِي كُلِّ صَبَاحٍ

تَمْتَزِجُ يَقْظَتُهَا مَعَ يَقْظَةِ الحَيَاةِ فِي الغَابَات
وَمِثل الأَمْوَاجِ المأخوذة بِإيقاع رقصتها المُجَنحة
تَلهو تِلْكَ الطُيُور فِي ظِل الأمن الذي يسري فِي السمَاوَات.
لَقد حَملتْ مِن عَصرٍ إلى عَصْرٍ رِسَالةَ الحَيَاة
لِلسماءِ، وللغَابَةِ، ولِلجِبَال
وَلَكِن مَا الذي يَحْدُث اليَوْمَ؟
من الذِي يَفْهَمُ مَعْنَاه؟
إن رَايَةَ التَّطَاوُلِ، بِكِبْرِيَاء السُّلْطَة
قَدْ نَشَرت أَجْنِحَتَها
وَلَم يُبَارِكْها إله الحَيَاة
ولم تَحْتَضِنُها الغَابَةُ
ولَم يَحْتَرْمها القَمَر
إنها بِهَزِّ أَجْنِحَتِهَا
وَبِزَمْجَرَة صَوْتِهَا المُدَوِّي
تُعْلِن عَنْ غُرْبَتِها فِي السَّمَاء

اليَوم. وَفِي التاريخ الذِي سَمَّمَهُ الإنْسان
تَدْعُو الغُيُومَ
وَبِضِحْكَة ثَقِيلَة
تُمْطِرُ الخَرَاب مِنْ السَّمَاوَات
إني أشعُر أنَّه قد حَانت نِهَايَة عَصْر
إن الفَوْضَى مِثْلَ الأسد الغَضُوب
لاَ يَتَحَمَّل المُعَوِّقَاتِ
وَالغِيْرَةُ وَالقَسْوَةُ تُوقِدان لَهِيبَ المَوْت
تَرْفَع الرُّعْبَ إلى الفِرْدَوس
إذَا كَانَ هَذَا المَكَان يَعْني عَرْشَ اللَّه
فَإنَّه قَد دُنِّسَ
وَحِينَئِذٍ يا (فاجار يانِي) إلَه الرعد
فِي لَهَب التَّدمِير الغَاضِب
دَعْ صَوْت الرُّعْبِ
يَضَع حَدَّاً لِتَارِيخ الإنْسَان

آه، أَصْغ إلى الدَّعَوَاتِ المُوَجِعَة
التي تَرْفَعُها الأَرْض
وَدَعِ تَغْرِيد الطُّيور
فِي الدُّروبِ الخَضْرَاءِ، الزَّرقاء فِي الغَابَة
يَقُصُّ مَرَة أُخْرَى
رِسَالَتَكَ

* * *

أيـتها الأرض

أيَّتُها الأَرض
لِتَقْبَلِي اليومَ تَحِيَّتي
أُخرَ تَحِيَّة
تُرْفَعُ إليكِ فِي هَيْكَلِ اليَومِ الذي يَزُول
أَنْتِ بَطَلَةٌ ، يَتَحَقَّقُ فَرَحُكِ فِي الأَبْطَال
أَنْتِ جَمِيلَةٌ وَقَاسِيَة
امرأَةَ وَرَجُلٌ فِي وَقْتٍ وَاحِد
تُزَعْزِعِين حَيَاةَ الإِنْسَانِ بِصِرَاعَات لاَ تُطَاق .
بِاليَدِ اليُمْنَى تَمَلأَين الكَأسَ بالرَّحِيق
وباليُسْرَى تُبددينه بَدَداً .
وَفِي مَكَان لَهْوِكِ يَتَرَدَّدَ صَدَى السّخريةِ الصَّاخِبَة
إن حَيَاةِ البَطَلِ ، وَرَيث الحَيَاةِ النَّبِيلَة

تُرْهِقينَها وَتَجْعَلِينَها قَاسِيَةً
إنَّك تَجْعَلِين من العَسِير بُلُوغَ الخَيْر
وَلَيْس فِي قَلْبِك رَحْمَةٌ للبَائِس
إن الصِراعَ مِن أجل البَقَاءِ الذِي أَخْفَيْتِه
فِي أشْجَارِكِ
يَظْهَرُ انتِصَارُه فِي الثِّمَارِ والغِلاَل .
وَمِيدَانُ مَعْرَكَتِك الكَرِيهُ
يَنْبَسِطُ عَلَى المَاء واليَابِس
هُنَاكَ، في مُوَاجَهَة المَوْت
تُعْلَن الرِّسالةُ الفَائِزة للغَالِب
وأَبْرَاجُ انتصَارات المَدَنِيَّة
تقوم عَلَى الدَّعَائِم المُوَءسَّسة عَلَى القَسْوَة
وَأَقلُّ الذُّنُوبُ تُكَافَأُ بالدَّمَار .
فِي الصَّفْحَة الأُولى مِنْ التَّارِيخ
كَانَت سُلطَةُ العِمْلاَقِ غَيرَ مَحْدُودَةٍ

كَإِنْسَان ، وَبَرْبَرِيٍّ ، وأبْلَه
وَكَانت أَصَابِعُهُ خَشِنَةً ، وَيَدُه سَخِيفَة
وَبِالقَضِيب فِي يَدِه نَشَر الدَّمَار التَّام
فَوْقَ اليَابِسة ، وَفَوْق البَحْر
وبالنَّار والبُخَار أدار أَحْلاَمَه المُنْحَرِفة الضَّالَّة
فِي أعْمَاق السَّمَاء .
وَحَقَّقَ لِنَفسِهِ السِّيَادَةَ العُظْمَى عَلَى عَالَم الجَمَاد
أمَّا نَحْو الحَقِيقَةِ الحَيَّةِ فَقَد أَعْمَتْه الغِيْرَةُ
وَفِي أَقْرَبِ العُهُودِ إلينا جَاء اللَّه
وَغَنَّى تَرَاتِيل «مَنْترا» لِكَي يُرَوِّض الوَحْش
وَأُهِينَت كِبْرِيَاءُ المَخْلُوقَات الفَاقِدَة للرُّوح
فَجَلَست إلهة الحَيَاة
نَاشِرةً بِسَاطَها الأَخْضر
وانْدَفع الأُفُقُ على قِمَمِ الهِضَابِ الشرقِيَّة
وَكَان الظَّلاَمَ يَحُفُّ بِضِفَاف البِحَار الغَرْبية

حَامِلَةً كأس السَّلاَم
حتّى ولو كَان العِمْلاَق المُقَيَّد قَد هَدأَ قَلِيلاً
هَذَا البربريّ الأَولَ يَتَبَاطأَ فِي تَارِيخِه
وَإلى قَلْبِ النِّظَام حَمَل الفَوْضَى
وَحِينَ خَرَجَ مِنْ كَهْفِه المُظْلِم
تَمَهَّلَ جُنُونُه فِي نَبْضِكِ
وَكَانت تَرَاتِيل المَنترا الإلَهيّة
يتردّد صدَاها العميق المُدَوِّي لَيْلاً وَنَهَاراً
فِي السَّماءِ، فِي الهَوَاء، فِي الغَاب
كَانَ شَيْطَانُك ـ الأَفْعَى، شِبْه
المُرَّوَضَ يَنْهَض مِن وَرَاء القَبْر.
تَقْتِلين ذُرِّيَتكِ
وَتَجْتَاحينَ خَلْقَكِ
وَخَيْرَاً أو شَرَّاً فَقَد وَقَعُوا تَحْت أَقْدَامِكِ
واليَومَ فَإنّي أُحيّي نَصْرَكِ الجَمِيل-المُتَبَاهي

وَبِقَلْبٍ مُمَزَّقٍ وَمُهَان
وَبِكُل جَسَدِي، وَكُلِّ فِكْرِي
أَلْمَسُ، وأَفْهَمُ
الحَرَكَة السِرِّيَة لِلحَيَاة التِي تُعَانِق كُلَّ شَيء
مِنْ المَوْت الذِي يُعَانِقُ كُلَّ شَيء
وتَحتَ هَذِهِ الأَرْض، وَعَبْرَ أَحْقَابٍ لاَ حَصْرَ لَها
كُدِّسَت الأَجْسَاد المَفْقُودَة
فِي هَذَا الرُّكَامِ الصَّامتِ مِنْ التُّراب
الذِي يَبْتَلِعُ الأَسماءَ والأَشْكَال
وَكُلَّ مَا كَان فِي يَوْمٍ مَا مَأْلُوفَاً مَأْنُوساً
حَتَى أَنا سَوف أَتْرُكُ مِنْ وُجُودِي
قَبْضَةً مِن التُّراب
نِهَايَةَ كُلِّ أَفْرَاحي وآلامِي.

* * *

يَا عَالَمَ الحُدُودِ الضَيِّقة
يا أَيها العَالَم الذِي يَبْلُغُ السَّمَاء
أَيَّها العَالَم المُتَأَمِّل
الغَارِقُ فِي الصَمْت العميق بِقِمَم الجِبَال
أيّها العَالَم المُحَاطُ بالبِحَارِ
المُتَرَدِّد صوتَها فِي مُوسيقَى الأَمْوَاجِ
المُهِيبَة التِي لا تَعْرِف العَيَاء
إنَّك لَجَمِيل فِي كَرَمكِ وَجُودِك
ولَكنَّك مُرْعِبٌ مُفْزِعٌ فِي عَوَزِكَ وَفَقْرِك
فَمِنْ جِهَةٍ
تَبْدُو حُقُول الأرزَ مَائِلَةً بِثِقْل سَنَابِلِها
غَير النَّاضِجَة
والنَّدى الذِي يَتَحَلَّل مَعَ أَوَّل أَشِعَّة
الشمس الوَدِيعَة
والغُرُوب الذي يَتْرُك فَوْقَ بَيَادِرِ القَمْح

المُتَمَوِّجة

رِسَالَتَه الصَّامِتَة . . إني لَمُبَارَكٌ

وَمِنْ جِهَة أُخرى

رَقْصَةُ الوَهْمِ الشَّيْطَانِيَّة

بينَ الهَيَاكل العَظْمِيَّةِ المُوَزَعَةِ فِي الصَّحْرَاء

مُحْتَرِقَة ، غَيْرَ مُثْمِرَة ، شَاحِبَةً مِنْ الرُّعْب

وَفِي إبريل شَاهَدْت إعْصَارَك المُدَوِّي

يَتَحَرَّكُ كَالنَّسْرِ المُنْقَضِّ على الأرض

لِكَي يُبَدِّدَ كُلَّ أُفُق .

وَزَمْجَرَت السَّمَاءُ وَزَأَرَت كالأَسَد

وَبِضَربة مِنْ ذَيْلِه

انقلبت الغَابَةُ السَّاكِنَةُ عاليها

و دا نيها

مِثل أسِير غَيْرَ مَغْلُول

لَقَدْ قَلَبَت الرِّيحُ سُقُوفَ التِّبْن .

وفي الرّبيع
رَأيت مِنْ جَدِيد، طَرَاوَتَك، وَرِيحَك
الجَنُوبية تَنْتَشِر
بَينَ بَرَاعِمِ المَانْجو المُعَطَّرة
أغنِيَة اللِّقَاءِ والافْتِرَاق
فِي تَحَدِّي الإعْصَار
وَحَفِيفُ الأوراقِ القَلِقَة
انطَلَقَ فِي صَرْخَة فَرَح.
أيُّها العَالَم
أنت مَحْبُوبٌ وَقَاسٍ، قَدِيمٌ، وَجَدِيدٌ عَلَى الدَّوَامِ
وَمن نَارِ التَّضْحِيَّة عند بدَايَةِ الخلق
نَهَضْتَ وَعَلى رَأسِكَ هَالَةٌ لاَ تُنْسى
وَفِي حَجِّكَ، وَعَلى طُول دَرْبَك
زَرَعْتَ كَثِيراً مِنْ خرائِب التَّارِيخ
التي نَمَت بِلاَ مَعْنَى

لقد نَشَرْت فِي شَرَائِح النِّسْيَان
مَخْلُوقَاتِك المَرْفُوضَة
يَا حَامِيَ الحَيَاة
لَقَد غَذَّيتها فِي أقفاص صَغِيرَة مِنْ الزَّمَن الهَارِب
وَفِي دَاخِلها كَانَت تَكْمُن الحُدُودُ
لِكُل لُعْبَةٍ مِنْ لُعَبِ الحَيَاة، لِكُل نِهَايَة عَمَل
إني ألتَمِسُ الخُلُودَ
لِلأكليل الذي ضَفَرْتُهُ لَكَ لَيْلاً وَنَهَاراً
أثناء رِحْلَة الأَرْض حَوْل الشمس
تَمْضِي وَتَأْتي لَحَظَات عَدِيدَةٌ
فَإِذَا كَانَت فِي لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَات هَذَا الزَّمن العَظِيم
أَعْطَيتُ مَعْنَى أو بَعْضَ مَعْنَى
وَإِذَا كُنْتُ بِلُوعَةٍ قُصْوَى قَد كَسَبْتُ
جُزْءاً خَصْباً مِنْ الحَيَاة

فَلتَضَع (تيلاك) الأرضي فَوْقَ جَبِيني
تِلْكَ السِّمَة التي تَتَلاَشَى عِنْدَ اللَّيْل
وَفِيها تَتَلاَشى كُلُّ السِّمَات
فِي أَعْمَاق اللاَّمَجْهُول
آه . أيها العَالَم الرّواقي اللاَّمُبَالِي
قَبل أن تَنْسَاني بِصِفَةٍ تَامَّة
فَإني أَلمَس قَدَمَكَ القَاسِيَة الكَرِيهَة
بِآخَرِ تَحِيَّاتِي

* * *

المنبوذون

إنَّهم مَنْبُوذُون
بِلاَ انتِمَاءٍ إلى فِئة اجتماعية
لاَ يَحِقّ لهم أن يُنْشِدُوا التراتيلَ المُقَدّسة
وأَمَامَ بَابَ الهَيْكَل
فَإن الكُهَّانَ الذين يَتْبَعُون عَقِيدَةً
يُقِيمُون الحَوَاجِز فِي الطَّرِيق
إنّهم يَبْحَثُون عن اللّهِ فِي مَعْبَدِه
بَعِيداً عَنْ جَمِيع الحَوِاجِز
فِي السَّماء العامِرَة بِالنُّجُوم
فِي الغَابَةِ المُغَطَّاة بِالزُّهُور
وَفِي الحُزْنِ الصَّلْد
حَيْثُ العُشَّاق يَلْتَقُون وَيَفْتَرِقُون

تلك الرُؤيا المُطَوَّقة المُغْلَقَة إلى اللّه
تَقَعُ بَعِيداً عَنْ مُتَنَاوَلِهِم .
فِي حَيَاةٍ مَاضِيةٍ
كَثِيراً مَا رَأى ذَلِكَ العَابِدَ
عِنْدَ ضِفَافَ نَهْر بَادْمَا
النهرُ الذِي يَنْخُر بِلاَ تَوَقُّفٍ
الأُسُسَ الصَّلْبَة للمَعْبَدِ القَدِيم
رآه وفي يده (الإكتارا)
يَجُوبُ الطريقِ المُظْلِمَة المُنْعَزِلَة
بَاحِثاً عَن درب الوصُولِ
إلى (إنسان قلبي)
شَاعِرٌ مِثْلِي
لَيْسَتْ لَه طَائِفَةٌ
لاَ يُمْكِنُهُ أن يُنْشِدَ التَّراتِيل المُقَدَّسَة
وَعِبَادَتِي لَم تَبْلُغ أَبَداً هَذَا المَعْبَد

السِجْنَ المُخَصَّصَ للَّهِ
فَجَاء الكَاهِنُ إلى المَعْبَد وَسَأَلَني
بَاسِماً:
هَل قَدَّمتَ وَاجِبات الإجْلاَلِ لاِلَهَكَ؟
فَأَجَبْتُه . . كَلاً
ألاً تَعْرِف القَوَاعِد والطُّرُقَ؟
فَأَجَبْتُ . . كَلاً
إذَن أَنْتَ بِلاَ طَائِفَةٍ؟
واليَوْم أُفَكِّر فِي نَفْسِي
مَنْ هُو إلَهي؟
وَمَن الذي عَبَدَتُ؟
اعِتَقَدْتُ إنّني عَبَدَتُ اللَّه هَذَا
الذِي كُنُتُ أَسْمَع اسْمَه عَلَى الدَّوَامِ
والذي قَرَأتُ عَنْهُ
فِي كِتَابَات كَثِيرة، فِي لِغَاتِ مُتَعَدِّدَة

وَلِكَي أُظْهِرَ إِخْلاَصِي
فَلَقَد عَبْدتُه بِعِنَايَةٍ
واليَوم أرى أنني لم أُظْهِر ذَلِكَ فِي حَيَاتِي
لَيْست لَدَيّ طَائِفَةٌ
لاَ يُمَكِنني أن أُنشِدَ التَّراتِيلَ المُقَدَّسَة
وَحِينَ تَبْلُغ عِبَادَتِي
الأَبْوابَ المُغْلَقَة للمَعَابِد
تَهْرُبُ بَعِيداً
بَعِيداً عَنْ كُلّ حَاجِز
إلى السَّمَاءِ العَامِرَة بِالنُّجُوم
إلى الغَابَةِ المُغَطَّاةِ بالزُّهُور
إلى الطَّرِيقِ القَاسِيةِ المُؤلِمَة
حَيْث يَلتَقِي العُشَّاقُ وَيَفْتَرِقُون
وَكَأيّ طِفْل
تَلَقَّيت أَوَّل (المَنترَا)

فِي يوم ِ مِيلاَدِ الأَرْض
(فِي فَرْحَةِ قَلْبِي القَوِيَّة)
تَلَقَّيْتُها وَأنا جَالِسٌ فِي حَدِيقتي
بَينَ الخَرَائِب والجُدْرَان المُتَدَاعِية
وَوَسط هَدْهَدَة حَفِيفِ أَوْرَاق ِ جَوْزِ الهِنْد.
إن الحَيَوِيَّة قَد نَزَلَت عَلَى تَدَفُّق ِ
نَبْع ِ النَّار للحَيَاةِ البِدَائِيَّة
وَأَعْطَتْني مَشَاعِرُ مَا لاَ يُعَبَّرُ عَنْهُ
الرِسَّالَةَ الغَامِضَة للعُهُودِ القَصِيَّة
فَهَزَّت كُلَّ تَفْكِيرِي
الأَشِعَّة الحَيَّة لِوُجُودِي الذَّابِل
وَضَاعت فِي الجَسَد البُخَارِيّ للشَمس ِ القَدِيمَةِ
وَحِينَ تَأَمَّلت السُّهُولَ الشِتوِيَّة
بِلاَ ثِمَار
أَحْسَسْتُ فِي قَلَق دَمِي

خُطْوَة النُّورِ الصَّامِتِ

ذَلِكَ الصَّوت لاحقني مُنْذُ المِيلاَد
مُنْذُ بِدَاية العُهُود القَدِيمَة .
وَحِين أتَأملُه
فَإن فِكْرِي يَنْبَسِطُ فِي مُعْجِزَة الزَّمَن اللاَّنِهَائِي
فِي الحَجّ إلى حَيَاة الخَلْق
وَأظَلّ يَقِظاً فِي ذَلِكَ النُّور
حَيْث مَرّت بِه عُهُودٌ عَدِيدَة
وَفِيه يَضطَّجع مُسْتَقْبَلي النَّائِم
وَعِبَادَتِي تِتِمّ كُلَّ يَوْم
فِي فَرْحَةِ هَذِه اليَقْظَة .
لَيْسَت لِي طَائِفَةٌ
وَلاَ يُمْكِنني أن أُنْشِدَ التَرَاتِيلَ المُقَدَّسة
وَلاَ أدْرِي لِمَن تُكَرَّسُ
عِبَادَتِي غَيْر النَّفْعِيَّة

التي تَقع أَبْعَدَ مِنْ أيٍّ طَقْسٍ دِينِي
وَمِنْ أيٍّ عَقيدَة.
بِلاَ أَصْدِقَاء، وكالطِّفْل الصَّغِير
أَنْظُر إلى بَعِيد
وَأَعِيش أَيَّامي في وِحدَة.
لَقَد وُلِدْتُ فِي عَالَمٍ
غَيْرِ مَحْبُوبٍ، وَمُدَنَّس
عَالِمٍ بِلاَ جُدْرَان وَلاَ شِعَارَات النبالة
وَبُيُوتُ جِيرَاني مُحَاطَةٌ بِأَسْوَارٍ أُخْرَى.
كُنْتُ طِفْلاً مَجْهُولاً، خَارِجَ الطَّائِفَة
وَكَانَت لَهُم دُورٌ جَمِيلةٌ يَغْشاها النَّاس
وَمِنْ بَعِيدِ كَانُوا يُلاَحِظُون حَرَكَةَ
الذَّهَابِ والإِيَابِ
عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ المُبَلَّطَة.
لَيْسَت لَدَيَّ طَائِفَةٌ

وَلاَ يُمْكِنُني أَن أُغَنِّي التَّراتِيلَ المُقَدَّسَة
والنَّاسُ الذين تَرَبَّوا على الطُّقُوس والعَقَائِد
لاَ يَعْتَرِفُون بالاَنْسَانِ فِي شخصي ولا يتعرّفون عَلَيْه
وَإِذَنْ ، فَقَد كُنتُ أَلْعبَ وَحْدِي فِي الطَّرِيق
وَكَانُوا يَجْتَازُونَني بَعِيدَاً بِأَرْدِيَتِهِم الطَّوِيلَة
ويقطِفُون الزُّهورَ لِعِبَادَةَ إِلَهِهِم
زُهُورٌ مَقْطُوفَةٌ وفْقَاً لِقَوَاعِدِ
الكُتُبِ المُقَدَّسَة .
أما أَنا فَقَد أَغْفَلْت أَن أُقَدِّم لاِلَهِي
زُهُوراً مِنْ كُلّ البِقَاع
زُهُورَاً بَاركتها الشمسُ نَفْسُها
وَأَهْمَلَتها الجُمُوع .
لَقَد تَشَرَّدْتُ شَوْقَاً إلى التَّوَحُّدِ
بِالإِنسانِ
والبيتُ المِضْيَافُ لَم يَكُن

لَه جُدْرَانٌ وَلاَ حُرَّاسٌ
وَبَعِيداً عَنِ الجَمَاهِير وَجَدْتُ أَصْدِقَاء
فِي وِحْدَتِي
أصدِقَاء مِنْ أَعْظَمِ عُهُود التَّارِيخ
جَاءُوا بِالرِّسَالَةِ العُظْمَى.
إنَّهم أَبْطَالٌ، وَفَائِزُون عَلَى المَوْت.
هُمْ أَصْدِقَائِي وأَقْرِبَائِي
طَائِفَتِي وَسُلاَلَتِي
وَقَد تَطَهَّرْتُ بِطَهَارِتِهم الخَالِدَة
كَانُوا قُصَّادَ الحَقِيقَة
يَعْبُدُون النُّور
جَدِرين بِامتِلاَك (أمريتا)
وَفي الدَّائرة الضَّيِّقَة
أَضَعْتُ الإنْسَان
وَوَجَدْتُه هُنَاكَ

حَيْثُ يَتَجَاوَزُ حُدُودَ أيِّ أَرْض
وَصَلَّيتُ لَه بِأَيْدٍ مَضْمُومَة
آه، أَيَّها الإِنسانُ الخَالِد
أَنت الذِي تَخُصُّ كُلَّ البَشَر
انقِذْني مِنْ وَقَاحة الكِبْرِيَاء
التي تَحْمِلُ طَابع (الإقصاء)
آه أيها الوجودُ العَظِيم
لقد أبصرتك أبعَدَ مِنْ حُدُودِ الظَّلْمَة
إني مُبَارَكٌ، ليست لِي طَائِفَةٌ
أيُّ طَائِفَةٍ.
وَفِي أحد أيام ِ الرَّبيع
جَاءَتني امرأَةٌ
فِي غَابَاتي المُنْعَزِلَة
فِي هَيْئَته العَاشِقَةِ اللَّطِيفَة
جَاءَت لِكَي تُعْطِي لأغَانِّي ألحَاناً

وَفَجأة، اخترقت موجة عاصِفَةٌ
ضِفَافَ قَلْبِي
وَأَخمَدْت كُلَّ لُغَة
وَمِن شَفَتَيّ لَم أنْبِس بِكَلِمَة
كانت تَقِفُ إلى جِذْعِ شَجَرَةٍ
مُحجّبة
وألقَتَ نَظرَةً عَلَى وَجْهِي الذي
جَعَلُه الألَمُ حَزِيناً
وَبِخُطُوَات سَرِيعةٍ اقْتَرَبَت
مِنْي وَجَلَست بِجِوَارِي
وَأخذَت يَدِي فِي يَدَيْهَا
وَقَالت:
أنت لاَ تَعْرِفُني، وَلاَ أنا أعْرِفُك
كيفَ يُمْكِن لِذَلِكَ أن يكُون؟
قُلْتُ:

سَوْفَ نُشِيد كِلاَنا جِسْرَاً أبدِيًّاً
بَينَ مَخْلُوقَين ، يَجْهَلُ كُلٌّ مِنْهُمَا الآخَر.
هَذِه الأَعْجُوبَةُ القَاهِرَةُ
تَكْمُن فِي قَلْبِ الأَشْيَاء
لَقَدْ أَحَبَبْتُها .
تيَّارٌ مِنْ هَذَا الحُبّ
أَحَاط بِها فِي عِنَاقٌ هَادِيء
مِثْلَ نَهْرِ القَرْيَةِ المَحْدُودِ العُمْق
ذَلِكَ التَّيَار الذي يَتَحَرَّك بِبُطْء
يَتَدَفَّقُ قُرْبَ الضِفّافِ المُنْخَفِضَةِ
للحيَاة اليَوْمِيَّة العَادِيةِ للمَحْبُوبَة
وَغَالِبَاً مَا يَجْعَلُه الجَفَافُ نَحِيلاً هَزِيلاً
وَكَثِيرَاً مَا يمْلأُه مَطَر يُولِيُو السخيّ مَاءً وَرَقْرَقَةً
كَانَ الوَجْهُ المَأْلُوفُ

للمرأة التي أحببْتُها بعْض المرّات

وخدعتُها مرّاتٌ أُخْرَى .

معتّما بِحِجَابِ اللاَّمَعْنَى

إن السَّيْلَ الآخر لِذَلِكَ الحُبّ

كَانَ يَحْمِلُ النِّداءَ العَظِيمَ مِنْ المُحِيط.

وَمِنْ أَعْمَاقِهِ

تَظْهَرُ امرَأَةٌ نَبِيلَةٌ وَكَرِيمَة

بَعْدَ حَمَّامٍ تَطْهِيرِي فِي ذَلِكَ المَاءِ العَظِيم

فِي هَيئَةِ دِيَانَا المَهْزُومَة .

وَلَقَدْ نَفَذَت إلى عَقْلِي وَجَسَدي

خَالِعَةً الكَمَالَ عَلَيَّ وَعَلى غِنَائي

لَقد حَافَظْتُ عَلَى اللَّهِيبِ الخَالِدِ للافتِرَاق حَيّاً

مَخْبَأً فِي أَعْمَاقِ فِكْرِي

رَأيتُ فِي النُّورِ لُطْفَها الخَالِد

وَرَأَيْتُهَا فِي تَدَفُّقِ الرَّبيعِ بَيْنَ الزُّهُورِ والأَوْرَاق

وَفِي شَرَارَةِ النُّورِ الشمْسِي
المُوَزَّعِ مِنْ أوْرَاق السَّيشُو المُتَفرِّقة.
لَقَد سَمِعْتُ النَّغَمَ
الذِي عُزِفَ بِسُرْعَةٍ على أوتَارِ (سِتَار)
حَول المَشْهَدِ المُتَغَيِّرِ للفُصُولِ
فِي النُّورِ وَفِي الظِلِّ
رَأيتُ رَقْصَةَ خُمُرِها المُتَعَدِّدَةِ
الألْوَانِ
لَقَدْ رَأيتُهَا جَالِسَةً قُرْبَ عَرْش (الخَلْقِ)
إلى يَسَارِ اللّهِ
وَرَأيتُ الجَمَالَ حِينَ يُشْتَمُ
بِالاتصَالِ غَيْرِ الطَّاهِرِ مَع المُشَوَّه.
والكَرِيه
والنِّيران المُدَمِّرة التِي تَقْدَحُ فِي عَيْنَي (ردراني)
جففت وكر التوبة الخَفِيّ

وَيَوْمَاً بَعْدَ يَوْمٍ ، هُنَاكَ
جَمَعْتُ فِي أَغَانِيّ
السِرَّ الأوَّلَ للخَلْقِ ، وَكَشْفِ النُّورِ
والسِرّ الأخِير للخَلْقِ ، وَهِي خِفَّةُ
الحُبّ الخَالِدَة
لَيْست لِي طَائِفةٌ
ولا يُمْكِنني أن أُغَنِّي التَرَاتِيلَ الدِّينِيَّةَ
وَبَعِيداً عَنْ جَمِيع الحَوَاجِزِ لِجَميع المَعَابِدِ
فَقد تَمَّت اليَوْمَ عِبَادَتِي
قَادِماً مِنْ مَمْلَكَةِ اللَّه
مُنْتَهِياً إلى مَمْلَكَةِ الإنْسَان
خَاتِماً فِي السَّمَاء (الوُجود المُسْتَنِير)
خَاتِمَاً في الفَرْحَةِ العَمِيقَةِ بِقَلْبِ
الإنسَان

افـــريقيـــا

في ذَلِك العَهْدِ الحائِرِ
حين لم يرْضَ الخَالقُ عَمَّا خلقَ
فَدَمَّر كُلَّ شيْءٍ.
فَصَلك البَحْرُ الغاضبُ
يا إفْريقيَا
عنْ حضْن الأرْضِ القَديمَةِ
وزيَّنكِ بالغَابَات الكثيفةِ
التي لا ينْفذُ إليها النُّورُ
وهناكَ عنْد الزَّوايا الخَفيَّةْ
جَمَعْتِ أسْرَار اللاَّمَفْهُوم
وَفككْتِ سرَّ الأرْضِ
والسَّماءِ والمَاءِ.
وسِحْرُ الطَّبيعَةِ

المتجَاوزُ لإدْرَاكِ البَصَر الإنسَاني
أخَذَ يُنْضِجُ رِسَالَتَهُ التي لم تتسرَّبْ
يا أفْريقيا، المَحْمِيَّةُ بالشَّمسِ
المَتَدَثِّرةُ بحِجَابٍ
ترقُدُ إنسانيّتُك تحْتَ نَظْرَة كَدِرَةٍ
عَامِرَة بالاحْتقَار
وَصَلَ صيَّادُو البَشَرِ
بِجُذُوعِهِمْ الحديدِيَّةِ
وبِمِخالِبِهِم التي تَفوقُ في حِدَّتِهَا مَخَالب النُّمُورِ
وقدْ أعمَى أفْكَارَهمْ الغُرُورُ
فَكانَتْ أشدَّ ظلْمَةً من غاباتِكِ.
والطَّمَعُ القاسِي للإنسانِ المتمدِّنِ
عَرَض نفسَهُ عارياً في خِزْيِهِ البَشَرِي.
ودُرُوبَ الغاباتِ
كانت تُرَدِّدُ صَدَى صيْحَاتِكِ
الخَالِيَةِ مِن الكَلِمَات

وقد تلطَّخت بالدِّمَاءِ والدُّموعِ.
وأحْذية اللُّصوصِ المسمَّرَةِ
تَرَكت خَلْفها الأثَرَ الذي لا يُمْحَى
في التَّاريخِ المخزِي.
وبالذَّات، وفي ذلِكَ الوَقْتِ
وفيمَا وَرَاءَ البِحَارِ
كانت الكَنيسَةُ تدقُّ أجْراسَهَا
داعيَةً النَّاس إلى العبادَةِ
والأطْفالُ كانوا يلْعَبُون في أحْضَان أمَّهَاتِهِم.
وفي أناشيد الشَّاعِرِ
كانتْ ترْتَعِشُ الابتهالاتُ إلى اللَّه
واليَّوْمَ، حِين تَخْنُقُ الأَصْداءُ الليْلَ
وتَخْرُجُ الحَيَوَانَاتُ من جُحُورِهَا
مُتَنَبِّئَةً بنِهايَةَ عَهْدٍ
تَعالَ، يا شَاعِرَ العَهْدِ الجَدِيدِ
لِتَرْتَفِعَ بيْنَ أَضْواءِ الغُروبِ الوَاهِنَةِ

وأمامَ المخزيين
وتُعَلِّقُ، (لِتَغْفِري لتَغفري)
فَلْتكُنْ هذهِ رِسَالَتُكِ الأَخِيرَةُ
يا أفريقِيَا

أُغْنِيات

إن الصَّرْخَةَ التِي تَتَعالى فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي
هِي أَيضاً صَرْخَةُ أَرضِكَ
والخَيْطُ الذِي تَشُدُّنِي بِهِ
يَشُدُّهَا بِي أَيْضاً
لَقد بَحَثْتُ عَنْهَا فِي كُلّ مَكَان
وَعَبَدْتُهَا فِي أَعْمَاقِي
وَبَحَثَتْ هِيَ عَنِّي حَتَّى عِندَمَا كُنْتُ مُسْتَغْرِقاً فِي تِلْكَ العِبَادَة
وَعَبْرَ المُحِيطَاتِ الوَاسِعَةِ جاءَت لِتَسْرِقَ قَلْبِي
وَنَسِيت العَوْدَةَ
بَعْدَ أَن فَقَدَت كُلَّ أَشْيَائِها
لَقد خَانَها سِحْرُها الجَذَّابُ
وَنَصَبت الشِّبَاكَ

دُونَ أَن تَدْرِي
هَل صَادَتْ، أَم صِيدَت

أَنْتِ
يَا آخرَ نَجْمَةٍ عِنْدَ مَطْلَعِ الفَجْر
دَعِي رِسَالَتكِ
شِبْهَ النَّائِمَة والخَفِيَّة
فِي زَهْرَة الفَجْر الأُولى
لِيَقْدِرَ ذَلِكَ الذِي هُوَ مَصْدَرُ جَمِيع الأَفْرَاح
أَن يُقَبِّلَني فِي حَيَاتِي الجَدِيدَةِ
عِنْدَ نِهَايَةِ تِلْكَ الحياة الَتي انقضَتْ
وليُمَكِن لِكُلِّ أَحْلاَمِ اللَّيْل أن تُزْهِرَ
فِي أُغنِيَات جَدِيدَة
فِي سَاعَة البَعْث
وَلِيُمَكِنْ لِهَذِه المُتَوَحِّدَة

المُقِيمَة فِي قَلْبِي
أَن تَبْدُو فِي ثَوْبِ الزَّفَاف
عِنْدَ صَبَاحِ حَيَاتِي الجَدِيدَة

* * *

هَذَا (الأنا) الذِي يَضْطَرِبُ
على طُول مَوْجَةِ الزَّمَن
أراه مِنْ بَعِيد
مَعْ التُّرابِ والمَاء
مَع الثّمرِ والزّهر
ومع كُلّ شَيءٍ أراه مُنْدَفِعاً
عَائِمَاً فَوْقَ السَّطح
تَدْفَعُه الأمواج
رَاقِصاً عَلَى إيقَاعِ الفَرحِ والأَلَم
وتُؤْلِمُه أَصْغَرُ الجِرَاح

أراه مِنْ بَعِيد
هَذَا (الأنا) ليس أَنَاي الحَقِيقيّ
مَا زِلْتُ كَامِنًا فِي أَعمَاقِ نَفْسِي
وَلاَ أَضطَرِبُ فِي تَيَّارِ المَوْت
إني حُرٌّ، بِلاَ شَهَوَات
إنِّي سَلاَمٌ
إني مُسْتَنِير
وَأَرَاه مِن بَعِيد

يَا صَدِيقي
إنَّك لَفِي انتِظَاري
فِيمَا وَرَاء ضِفَافِ المَوْتِ والحَيَاة
فِي السَّمَاءِ الصَّامِتَةِ فِي قَلْبي.
عَرْشُكَ مَغْمُورٌ بالنُّور.
وَبِأَيِّ أَمَلٍ وَفَرحٍ أَتَّجِهُ إليه

وأتَوَسَّلُ إليه بِيَدَيْن مَفْتُوحَتَيْن .
إِن اللَّيلَة الصَّامِتَةَ قَدْ نَشَرت
ضَفَائِرَها السَّودَاء حَوْلَ قَدَمَيْك
وَهَذِه اللَّيلة ، أيّ أُغنِيَة تَمْلأً
أَرجاءَ الكَونِ ، ستهبط هَذِه
الأرض منسابة من معزفك .
إن الأَرضَ تَنْدَمِج فِي تَدَفُّق الأَنْغَام
وَأَنا أَضِيع فِي الأَغْنِيَات
التي تَتَنَفَسُّ كَآبَةً

لقد انتَهَى النَّهَارُ
فَلْتَسْحَبْ عن عَيْنَيَّ
حِجَابَ نُورِ الشَّمسِ الغَارِبَة .
فَفِي قَلْبِ الظَّلاَم
تَعِيشُ مَنَابعُ النُّورِ الخَالِد

فَلْتَسْكُبْها فِي أَعْمَاقي.
وَاجْعَل فِي النِّهَايَة
كُلَّ الكَلِمَات
تَنْصَهِرُ وَتُصْبِحُ كَلِمَةً وَاحِدَة.
وَدَاخِلَ قَلْبِ الصَّوْت الصَّامِت
اعزِفْ تِلك الأَنغَامَ الخَالِدَة.
تِلْكَ الأَنْغَامَ تَهْمِسُ إلى
أذنِي

* * *

حِينَ افتَرَقْنَا، فَكَّرْتُ
أَنَ الدُّمُوعَ لَنْ تَكُفَّ عَنْ الإنسِكَابِ أَبَداً.
وَيَوْماً بَعْدَ يَوْم
وَفِي غُبَارِ حَوَافِي الطَّرِيق
أخذَت الزُّهُورُ تَذْبُلُ

وَتَتَسَاقَطُ مِنْ إكلِيلِي
عَلَى غَيْرِ عِلْمِي
مَتَى يَسْقُطُ حِجَابُ النِّسْيَانِ فَوْقِي؟
وَتَدْرِيجِياً أَخَذَ قَلْبِي يَقْسُو
وَفَكَّرت فِي أن الدُّمُوعَ لن تَنْسَكِب أَبَداً
آه، وَلَكِن حين قَابَلْتُها فَجْأَةً،
فِي إحدَى زَوَايَا الطُّرُق
أَخَذَتْ تَنْهَمِرُ دُمُوعٌ لاَ حَدَّ لَها.
حَتّى فِي نِسْيَانِي
تَحَرَّكَت دَوْمَاً أَمْوَاجٌ مِنْ الدُّمُوع

قَبْلَ أَنَ يَتَبَدَّدَ اللَّيْلُ
فَلْتُوْقِد مِصْبَاحَ حَيَاتِي
بِلَهِيبِكَ
أَيُّها الحَبِيبُ الأثِير

إنِّي انتَظِرُ المَسَاءَ
حِينَ تَقْدِمُ إليَّ
سَالِكاً طُول الطَّرِيق
حَامِلاً لَهِيبَكَ
وَقَلْبِي بِقِمَّتِهِ المُفَكِّرَة
سَيَتَنَوَّرُ بِذَلِكَ اللَّهِيب

إن المَاءَ المَأْسُورَ فِي حِضْنِ الأَرْض
لَم تَعْثُرْ عَلَيْهِ الأَرْض
حِينَ هَرَب مِنْهَا إِلى السَّمَاءِ البَعِيدَة.
والغُيُوم الكَثِيفَة رَسَمتُ هُنَاكَ رُسُوماً غَامِضَة.
فَلَم تَعْثُر عَلَيْهِ الأَرْض
وَحِينَذَاك هَزَّها الرَّعْدُ بِنَارِ الأَلَم
والعَاصِفَة المُرْتَجِفَة دَفَعَتْ بِه إِلى جَمِيع
الاتِّجَاهَاتِ.

والكَنْزُ الذِي كَانَ فِي وَقْتِ مَا قَرِيباً
عَادَ مِنْ جَدِيدِ إلى القَلْبِ
فَجَاءَ فِي الدُّمُوعِ طُوفَاناً
وَهُنَاكَ وَجَدَتْه الأَرْضُ فِي آخر المطاف

إنَّ النُّورَ قَد غَاب عن اللَّيْلَة المُظْلِمَة
وَوَصَل بِخُطُوَاتِ لَطِيفَةٍ
وَحِين تَقْطَعُ هَذَا الطَّرِيق
سَتَعْرِفَ بَيْتِي الرِّيفِي المُعَطَّر (بالشَّامْبَاك)
الذِي يُزْهِرُ عَلَى جَانِب المَعْبَد
سَأَظَلّ سَاهِراً طُولَ اللَّيْل
وَسَوْفَ أُغَنِّي
على أَمَلٍ فِي أَن تَبْلُغَكِ أُغنِيَاتِي
وَلَكِنِّي أَخْشَى أن يَأخُذَني النُّعَاس
فِي نِهَايَةِ اللَّيْل

وَمِنْ صَوْتِي المُرْهَق
تَخْتَفِي الأَلْحَان

آه، اجْعَلْ رُوحِي نَقِيَّةً
فِي شَلاَّلِ الضِّيَاءِ الصَّبَاحيّ
وَامْسَحْ عَنِّي الغُبَارَ الذِي يُغَطِّينِي وَيُخْفِيني
تلك النَاعِسَةُ فِي أَعْمَاقِي المَأْخُوذَة فِي شِباك النَوْم
والمِسْهَا بِلُطْفٍ بِالسَّوطِ الذَّهَبِي لِجبين ِ الفَجْرِ
البَاكِرِ
إن الرِّيحَ تُهَبُّ مِنْ قَلْب الكَوْن
رِيحَ الحَيَاةِ المَجْنُونَةِ، مُحَمَّلَة بالأُغْنِيَات
فَاجْعَلَ قَلْبِي يَتجَاوَبُ بِلَمْسَتِهَا الرَّقِيقَة

* * *

مِصْبَاحُ الأَرْضَ يَتَأَجَّجُ في حِضْن ِ الأُم الأَرْضِيَّة

ونَجْمَةُ المَسَاءِ، في هَيْئَة تَأَمُّلِيَّة، تَرْقُبُ
نُورَها.
إن النُّورَ مِثل النَّظْرَة القَلِقَة للمَحْبُوبِ الذّاهل عن نَفْسِه
يصيب مِثل الخَوف الذِي يَرْتَجِفُ في الأَرْضِ
الخَضْرَاء
ويَنْبِضُ بِأَلَم في الرِّيح التي لاَ تَسْتَقِرُّ
إِن صَوْتَ نَجْمَةِ المَسَاءِ يَنْزِلُ من السَّمَاوَات
حَامِلاً البَرَكَاتِ
واللَّهَبُ الخَالِدُ مُتَشَوِّقٌ إلى التَّأَجُّج
والاشتِعَال في لَهَبٍ فَانٍ.

في قَلْبِ الرَّعْد يَلْهُو النَّغَمُ
فَأَستَيْقِظُ عَلى إيقَاعِهِ
وأَنْتَشِي بتلك الحَيَاةِ
المُخْتَفِيَّة في قَلْب المَوْتِ

عند اندفاع العاصِفَة
يَرقُصُ قَلْبِي فَرَحاً
فانْتَزَعْني من حِضْنِ الرَّاحَةِ
وغَطَّسْني في العُمْقِ
حَيْث يَسُوُدُ الأَمْنُ في جَلاَلٍ
وَسَطَ القَلَقِ .

لقد أُفْعِمَ كَأْسُ حَيَاتِي
بالرَّحِيقِ الذِي مَلأْتَهُ بِهِ
أَنْتَ لاَ تَعْرِفُ، أنت لاَ تَعْرِفُ
خِفْيَةً، ودُونَ أَن يَرَاكَ أَحَدٌ
وكَمثِلْ الزَّهْرِ الذِي يَغْزُو اللَّيْلَ بِعِطْرِهِ
أَفْعَمْتَ قَلْبِي بِأَغَانِيك

أَنْتَ لاَ تَعْرِفُ، أَنت لاَ تَعْرِفُ

لَقَد حَانَ وَقْتُ الفِرَاق
فَارْفَع وَجْهَكَ اللَّطِيفَ، وحَدِّق فِيّ
وبِمَوْتٍ لَطِيفٍ أَهَب حَيَاتِي عند قَدَمَيْك
الشَيّء الذي لَمْ تَعْرِفْهُ، لَمْ تَعْرِفْهُ
هَل يُمْكِن لِلَيْلَتِه الصَّامِتَة مِن الألم الخفي
أن تَنْتَهِي في هَذِه السَّاعَةِ اللَّيْلِيَّة؟

بِنُورِ عَيْنَيَّ
رَأَيْتُ مَا هوَ مَوْجُودٌ بِالخَارِج
أَمَّا الآن وقَد انْطَفَأَ هَذا النُّور
فَإِنِّي أُبْصِرُ دَاخِلِي
لَقد مَثَّلْتُ مَعَكَ في مَسْرَح العَالَم
فَاخْتُم هَذِهِ التَّمْثِيلِيَّةَ
لِيَبْدَأَ لِقَاء القُلُوب
إن أَوْتَار (فِينا) قَد لُمِسَتْ

و(فِينا) القَلْب مَا يَزَالُ يُغَنِّي

الْمِسْنِي بِنَارِكَ

الْمِسْنِي بِنَارِكَ

اصْهَرْ وطَهِّر حَيَاتِي

وَارْفَع جَسَدِي

وَاجْعَل مِنْه مِصْبَاحاً في مَعْبَدِك

وَاجْعَل مِن أَغَانِّي

الزَّيت الذي يُوقِدُ اللَّهِيب

في قَلْبِ اللَّيْل

تُزْهِرُ النُّجَومُ بِلَمَساتِكَ

ولَوْعَتِي المُلْتَهِبَةُ

تَرْتَفِعُ نَحْوَ السَّمَاء

* * *

نهاية اليوم

حِينَ يَصْمُتُ النَّاي
وَيَتَبدَّدُ النُّور
وحِين يُنْزَلُ السِّتَارُ عَلى مَشْهَدِ الحَيَاة
ولا يَجْتمِعُ النَّاسُ لِرِثَاءِ الشَّاعِر
ويَظَلُّ الرَّئيس في بَيْتِهِ يَلْعَبُ الوَرَقَ
وَلاَ يَدْعُو إِلى اجتِمَاعٍ إِحْيَاءِ الذِّكْرَى
أَعْرِفُ أَن الزّهور هي التي سَتَذْكُرُني
وفي كُلِّ مَكَانٍ حَوْلِي تَعْزِفُ النَّايَاتُ أَلْحَانَها
وهي تَحْتَفِلُ بِكُلّ أَعْيَاد الفُصُولِ
في الرَّبِيع ، والخَرِيفِ وفي مَوْسِمِ الأَمْطَارِ
هُناكَ سيُزَيِّنَ مَكَانِي بِكُلّ الحُبِّ
في الطَّرَاوَةِ، وفي الاخْضِرَارِ المُنْعِش

وصَمْتِي المَغمُور بِأَغَانِي الطُّيُّور
وأَعْرِفُ أن في الغَابَات
سَيَتَرَدَّدُ صَدَى هَذِه الرِّسَالَة
لَقد أَعْطَيْتُ لأَنْغَامِهِم كَلِمَات الشَّاعِر
سَيَتَرَدَّد صَدَاها في قَطَرات المَطَر.
فِي رَعْدِ الغُيُوم
في أَلْوَان الفَجْرِ البَاكِر
أعمَلُ على أن يُحْفَظَ ذِكْرِي
حَيْثُ حَفِيفُ الأَوْرَاق
وحَيث النَّدى يَتَأَلَّق في بَسَمَات خَاطِفَة
وحَيْث الظِّلاَلُ تَنَامُ في ضَوْءِ الشَّمْس
وحَيْث يَبْدُو العَمَلُ كَأَنَّه تَسْلِيَةٌ
وحَيثُ يُوقَدُ المِصْبَاحُ فِي وَحْدَة
والرَّاحَةُ تَغْمُرُ وِعَاء العَطَايا
بأحلامٍ مُتَعَدِّدَةِ الأَلْوَان

الجواب

لا تَسْأَلْني
مَا هُو الخَلاَص؟
وأَين يُوجَدُ؟
لستُ بَحَّاثاً، ولَكِنَّني شاَعِرُ فَحَسْب
أَعِيشُ مُلْتَصِقاً بِهَذِهِ الأَرْض
وأَمامي يَجْرِي نَهْرُ الحَيَاة
حَامِلاً في تَيَّارِه
النُّورَ والظِّلَّ
والخَيْرَ والشَرَّ
والرِّبح والخَسَارة
والدموعَ والابتِسَام
كُلُّها أَشْياء تَتَلاشى

ثُمَّ تُنْسَى
وعلى مِيَاهِ هَذَا النَّهْر
يُطِلُّ الفَجْرُ بِأَلْوَانِهِ العَمِيقَة
وَينْشُرُ الغُرُوب رِدَاءَه القُرْمُزِي
والأَشِعَّةُ القَمَرِيَّةُ تُنْزِلُ في ظَلاَم اللَّيْلِ
كَلِماتِ الأم الرَّقيقَةَ النَّاعِمَة.
والنُّجُومُ تُرتِّلُ صَلَواتِهَا،
وعلى أَمْوَاجِهِ
يَبُثُّ المَدْهُورِي عَطاءَهُ
وتَسْكُبُ الطُّيُورُ أَغَانيها.
وفي ذَلِك الإيقَاع
تَتَلاحَم عُبُودِيتي وحُرِّيَتي.
لاَ أُرِيدُ الاحتِفَاظ بِشَيء
ولا التَّعَلُّقَ بِشَيء
ولا الارْتبَاطَ بِرَوابِطِ الوَحْدةِ والانفِصَال

ولَكِنِّي أَريد أَن أَتَمَوَّجَ مَع كُلِّ شَيء
رَافِعاً أَشْرِعَتي للرِّيحِ الزَّائِلَة العَابِرة.
آه أيُّها الجَوَّابُ العَظِيم
إِن الطُّرُقَ العَشْرَ لَمْفتُوحَة أَمَامَك
لَيْس لَك هَيْكَلٌ
ولَيْس لَكَ سَمَاءٌ
ولَيْسَتَ لك نِهَاية أَخيرةٌ
وفي كُلِّ خُطوة تَلْمسُ الأَرضَ المُقَدَّسَة.
فِي السَّيْرِ مَعَك،
أَنت الذِي لاَ يَعْرِفُ الرَّاحَةَ،
أَجِدُ خَلاصي
في كُنُوزِ الرِّحْلَة
وفي نُورِ الظُّلْمَة
وفي صَفَحَاتِ الخَلْقِ الجَدِيدَة دَوْماً
وفي كُلِّ لَحْظَة تَحُللٍ

يَتَرَدَّدُ صَدَى
رَقْصِكَ وغِنَائِكَ

* * *

انعتاق[١]

أَنْتَ
أَيُّهَا الجَمَالُ الأَبَدِيُّ
هَبْنِي القُوَّة، واعطِنِي الشَّجَاعَة
اعطِني سَمَاء الشُّعورِ بالرِّضَى
هَبْنِي الانعِتَاقَ اللاَّمَحْدُود
من دَوْسِ التّراب اليَوْميّ
ولا تَدَعْنِي
أَترَنَّحُ في سَيْل اللَّحْظَةِ الصَّاخِب.
في استلاب اللَّوْعَةِ المُرِيب
تَعِيشُ شَجَاعَةٌ لا تَعْيَا في قَلْب (جُوتِي)
إنه جَمِيلٌ ولَطِيف
حَتَى وَلَو كَانت قَطَرَاتُ المَطَرِ الدَّافِقَةُ

تُصيبُهُ

وَلَكِنَّها تُفْعِمُ حَيَاتَه الدَّافِقَةَ بانسِجَامٍ مَع الأَبَدِيَّة

إِنه يَتَوَجَّع بِلُطْفٍ بِسِيطٍ فَوْق فِرَاشِ الشَّوْك

والكَمَالُ يَنْعَكِسُ في قَلْبِهِ اللَّطِيفِ

أَعطِنِي تلك الشَّجَاعَةَ الهَادِئَةَ

التي تُحَصِّنُ نِسْيَانَهُ لِنَفْسِهِ.

جَميلَة في مَحْدُودِيَّتِها

تلك البَسَاطَة التي لاَ تَعْرِف الشُّكُوك.

فَلْتَتَوَحَّد في إيقاع من الأَمْنِ والطُّمَأنِينَةِ

كُلُّ أَفْكَارِي وكُلُّ تَعْبِيري

* * *

انعتاق(٢)

لِلهُرُوبِ بَعِيداً
بَعِيداً عَن نَفْسي.
فَإِنِّي أَلتَمِسُ لُطْفَكَ
ودَعْوتَكَ
أَيهُّا العَظِيمُ اللاَّمَنْظُور.
فَلْتَجْعَل أَلْحَان يُوليِو المُمْطِر
تَمْلأُ قَلْبِي
وتَعْزِف فَوْقَ نايِي
وتُنْسِيني
الصَّخَبَ الدَّائِمَ للأحيَاء من حَوْلِي

وَجَذْبَ الأَرْضِ تَحْتَ أَقْدَامي
إِنِّي أَنْتَظِرُ ثَابِتاً كُلَّ يَوْم ، عِنْد حَافَّة الطريق .
إِن النَّهَار يَنْتَهي .
والظِّلاَل تَزْدَادُ ظُلْمَةً .
والشَمْسُ المُتْعَبَةُ تَبْحَثُ عن الأَمْن
فِيمَا وَراءَ الأُفُق .
ومِثْل النَّهار الذي يَبْتَعِدُ بِخُطُوَاتِ كَبيرة
نَحْوَ اللاَّنِهَائِي المَجْهُول
حَاجَّاً وحَيداً في الطَّريق المُظْلِمَةِ
بِلاَ دَرْبِ
تائِهاً في أُغْنِيَةٍ من أَغَاني اللاَّنَهائي
هكذا اجْعَلْني مُتَجَاوِزاً في عَطائي لذاتي
واجْعَلْ هَذا الفَرَاغَ يَمْتَلِىء بالأَنْغَام .
وقُدْنِي من دَرْبٍ إلى دَرْب
أَيُّها الجَلِيلُ اللاَّمَنْظُور

عازف الناي

يَا عَازِفَ النَّاي

اعزِفَ نايَكَ

ودعني أَسْمَع اسمي الجَدِيد.

هكَذا كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَوَّلَ حُرُوفِي

أَتَذْكُرُ؟

إني فَتَاةُ البِنْغَال . . فَتَاتُكَ

إِن اللَّه لَمْ يُنْفِقْ وَقْتاً طويلاً

ليشكِّل مِنِّي مَخْلُوقاً بَشَرِياً

ولَكِنَّه تَرَكَنِي غَيْرَ كَامِلَة.

بَيْن الدَّاخِل والخَارِج

بين المَاضِي والحَاضِر

بَيْنَ الفِكْرِ والشُّعُور
وبَيْنَ الشَّهْوةِ والقُدْرَة
لاَ يُوجَدُ انسِجَامٌ كَامِلٌ.
لَم يَضَعْني فِي زَوْرَقِ العَهْدِ الحَدِيث
ولَكِنَّه شَدَّني إلى الضِّفَّة المُنْخَفِضَةِ
مِن تَيَّارِ الزَّمَن.
هُنَاكَ، فِي النُّورِ السَّاطِع
أَرَى بيصر واهن العالَم البَعِيدَ
إنَ عَالَمِي مُصَابٌ بِالفَقْر
ولا يُمْكِنُه لأِيّ سَبَب أَنَ يَكَونُ مُنعَّماً.
إنَّه يَمُدّ يَدَيْهِ
ولَكِنَّه لاَ يَبْلُغ شَيئاً
والنَّهَار لاَ يَنْتَهِي
وأَتَأَمَّلُ المَجْرَى مُنْتَظِرَةً
أن أَرَى الزَّوْرَقَ

وقَد سُحِبَ بَعِيداً ، هُنَاك في ضِفَّةِ الحُرِّيَة .
وفي ذَلِك الوَقْت بالذَّاتِ
تَرَدَّدَ صَدَى نَايِكَ
يَعْزِفُ أَنَغْامَ الحَيَاةِ الملأى
وفي النَّبْضِ الخَامِدِ للعُرُوق
يَعُود تَيَّارُ الحَيَاة
أي انسجامٍ هَذا الذِي تَعْزِفُ؟
من الذي يَعْرِفُ أَيَّ لَوْعَةٍ
تَنْطَلَقِ في قَلْبِ أيَ واحِد؟
رُبَّما كُنْتَ تَعزِفُ
أُغْنِيَاتِ الرِّيح الشَّرْقِيَّة
إنَّه غِنَاء الشَّبَاب الجَدِيد
إني أُصْغي إلَيْه ، وأُحِسُّه
والتَّيار الجَبَلِي الرقراق أَخَذَ يَتَعَاظَم
ويَتَرَدَّدُ في رَعْدِ الرياح الموسمية

عِند بُزُوغ ِ الفَجْرِ البَاكِر
أَرَى الضِّفَافَ قد سُحِبَت بَعِيداً
وبَالُوعَة التَّيارِ الجَارِفِ
قَد هَزَّت الصَّخْرَ الصَامِد
وفي دَمِي ، كَان عَزْفُك وأَنْغَامُك
يَحْمِلاَن إليَّ نِدَاء العاصِفَة
الامتلاءَ، النَّارَ، الحَرِيقَ
نِدَاء المُحِيط الذِي يَهْزَأ بالمَوْت
النِّداء الذي يَهُزُّ سلاسلَ الرِّيح الوَحْشيَّة
في الخُلْجَان الضَيِّقَة لِلأَكَامِل
والسَّلْب المُنْدَفِع للتَيَّارِ الرَحْب
يَصِلُ ، فَيُغَطِّي كُلَّ شَيْءٍ ويَجْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ ـ
إن حِمْلَ زَوَابع ِ الرَّبيع ِ مَشْحُونٌ بِالمَطَر
ومِثْل غَضَبِ الغَابَةِ
يُدَوِّمُ حَوْلَ الجَسَد .

يَا إِلهي، أَنْتَ لَمْ تُعْطِني أَجْنِحَة،
أَغْنِيَاتُك فَقَط هي التي لَمَست أَحْلاَمي
مع جُنُون زَوابِع الأَمْطَار.
وفي البَيْتِ كنْتُ أَعْمَلُ بِهُدُوء
والجميعُ يَقُولُون عَن عَمَلِي إنَّه (طَيِّبٌ)
ولَكِنَّهم يَجِدُونَني خَالِيَةً من الرَّغْبَةَ فِيمَا أَعْمَل
ولا شَهْوة عَارِمَة
وبِضَرْبَةٍ خَفِيفَةٍ من الرِّيح
وَجَدْت نَفْسِي فوق الأَرْض
لَسْتُ جريئةً بما فِيهِ الكِفَايَة
حَتَّى أَدْفَع الحَرَس الذي يُدَافِع عَنِّي
ولا أَعْرِفُ كيف أُحِبُّ بِجِدِّيَة
ولَكنِّي أَعْرِفَ فَقَطْ كَيْفَ أَبْكِي
يَا عَازِفَ النَّاي
حِينَ أُصْغِي لأَنْغَامِكَ

يَبْلُغُنِي نِدَاءُ عَالَم الخَالِدِين
هُنَاك أَرْفَع جَبِينِي فِي المَجْد
هُنَاك ، حَيَاتِي تُصبح شَبِيهة
بِشَمْس ِ شَابَّة
لَم تَحْجُبْهَا
هُنَاك حَمَاسِي الذِي لاَ يُقِيم اعتِبَاراً
لِلمَحْظُورات
يَفْتَحُ أَجْنِحَةً نِيرَانِيَّةً
وَمِثل عُصْفُور الرَبّ الجَائِع
يَطِيرُ نَحْو الفَرَاغ ِ المَجْهُول
وَيَسْتَيْقِظُ فِي ذَاتِي المُتَمَرِّدُ
وَبِنَظْرَةٍ مُحْتَقِرَةٍ
يُدِينُ جُبْنَ الجُمُوع ِ حَوْلِي
يَا عَازِفْ النَّاي
رُبَّما كُنْتَ تَرْغَبُ أن تَرَانِي

فَلاَ أَدْرِي الزَّمَان المُنَاسِب

أَو المَكَانَ المُنَاسِبِ لِلِقَائِنا

وَلاَ كَيْفَ أَتَعَرَّفُ عَلْيك

فِي اللَّيلَةِ الوَحِيدَة المُمْطِرَةِ

جَاءَت كالظِلٍّ

لِلَّقَاءِ بِكَ .

حِينَ سَمِعْت نِدَاءكَ

تِلْكَ الصَبِيَّةُ العَذْبَةُ الرَّقِيقَةُ

خَرَجَت مِنْ الزَّاويةِ المُظْلِمَة

امرَأَةٌ سَافِرَةٌ

إنها كالبَيْتِ الشِّعْرِيِّ الأَوَّل

الذِي انسكَب فَجأَةً فِي قَلْب (يالمِيكلي)

وَسَحَرَتْكَ

وَلَكِنَّها لَنْ تَنْزِل مِنْ عَرْشِ الغِنَاء

وَجَالِساً فِي ظِلاَل الأَنْغَام

تَكْتُبُ كَلِمَاتِكَ

لَن تَعْرِفَ أَيْنَ تَعِيشُ

يَا عَازِفَ النَّاي.

دَعْهَا تَظَلُّ بَعِيدَةً

عَنْ أَنْغَامِ نَايِكَ.

* * *

جاراتي

آه يا جارَاتي
لَقَد رَأَيت صُورَتكِ فِي قَلْبِي
عِنْدَ نِهَاية اللَّيْل
واللَّهِيبُ الهَادِيء للمُصْبَاح
كَان يُضِيءُ حَاجِبَيْكِ وَشَفَتَيْكِ
وَشَعْرَكِ الأَبْيَض.
والنُّورُ الهَادِيء لِنَجْمَةِ الصَّباح
كَان يَقَعُ عَلَى عَيْنَيْكِ الهَادِئَتَيْن
كَمَا تَقَعُ البَرَكَةُ الإِلَهِيَّة.
وَفِي الغُروب
كَان عِطْرُ الدِّفْلَةِ الوَاهِن
قَدْ جَعَلَ الهَوَاء حَزِيناً مَكْرُوباً

خَافِتاً كَمَا تَخفُتُ آخِرِ ألحَانِ (فينا)
عِنْدَ نِهَايَةِ الاحتِفَال.
والهَوَاءُ الرَّطْبُ الذي بَلَّله النَّدَى يَتحَرَّكُ
بِهُدُوءٍ.
وَأغْصَانُ أشْجَار الأسَت سَاكِنَةٌ.
وَذَلِكَ المَجْرَى النَّحِيفُ، الصَّافِي
للنَّهْر
يَتَدَفَّقُ فِي صَمْتٍ نَحْوَ البَيْتِ المَهْجُور
مِثْل الخُطُوَاتِ المُتْعَبة لِلعَشِيقَةِ
المَنْسِيَّة.
آه يَا جَارَاتي ذَات الشَّعَرِ النَّاصِع
لقد رَأَيتُكِ فِي السَّمَاءِ الخَرِيفِيَّة لِلحَيَاة
وَفِي الغُيُوم الصَّافِيَّة النَّقِيَّة
الخَالِيَةِ مِنْ المَطَرِ.
وَهُنَا، تَحْت، تَمْتَدُّ الحُقُولُ مَلِيئَةً

بِالقَمْحِ
والنَّهرُ فَائِض حَتَّى الحَوَافِي .
فِي هُدُوء الكَمَال
فَإن الأَرضَ تَغْدُو عَمِيقَةً فِي جَمَالِهَا
يَا جَارَاتي .
لَقد رَأيتُكِ فِي آخِرِ ضِفَافِ الوُجُود
حِين كَانَ ضَجِيجُ الزَّمَنُ غَارِقاً
فِي الأعماقِ السَحِيقة .
وَفِي اللَّيْلِ
وَبَعد حَمَّامكِ كَحَاجَّةٍ إلى البَحْرِ الهَادِيء
تَنْحَنِينَ بِضَفِيرَتِك الطَّلِيقَةِ
أمام الهَيْكَل .
وَتَعْبُدِين الخَاتِمَة الكَامِلَة
للقَلْبِ الخَالِي مِنْ الرَّاحَة .
حَيْثُ تُقِيمُ السِّلْمُ الخَالِدَة

وَتَنْسَكِبُ عَلَى رَأْسَكِ النَّبِيلِ

نِعْمَةٌ سَامِية

تُشْبِهُ آخَرَ أَشِعَّة الشَّمْس

* * *

امرأة

الرَّحِيقُ والفَرَحُ تَشَكَّلاَ فِي المَرْأةِ
وَأَثَارَا أَمْوَاجاً مُضطَرِبَةً
مِنْ أَجْلِ الظَفَرِ بِالذَّكَرِ المُعْتَزِّ بِعُزْلَتِهِ
وَخَلْفَ سِرٍّ (تَابَاسَيا) الإلَهي
بَحَثَ النَّحّاتُ فِي فِكْرِهِ عَنْ الشَّكْلِ الأَوَّلِي
وَحَاول أن يَسْجَنُ فِي إبْدَاعِهِ
هَذَا الجَمَالَ الفَانِي
ولكنهُ هَزِمَ بِسَبَبِ العِفَّةِ والخَوْفِ
وَتَعَالِيم الكُتُبِ المُقَدَّسَةِ
وَجَعَل العُرْي شَيْئاً صَافِياً نَقِيّاً
بَعِيداً عَن دَائِرَةِ اللَّذةِ الحِسِّيَّةِ
الألم اللاَّنِهَائي فِي قَلْبِ الإِنْسَان

وَفِي تَوْقِهِ إلى الرَّحِيقِ القُدُسِي فِي النَّبِيذ الأَرْضِي
بَدَّدَ آثَارَه
فِي الغِنَاءِ، فِي الرَّسْمِ ، فِي الصَّخْرِ
وَعَهْدَاً بَعْدَ عَهْدٍ
وَبقْعَةً بَعْدَ بُقْعَةٍ
سَالِمَةَ مِنْ الذُّبُولِ
سَلِيمَةً مِنْ الضَّعفِ
لُوحِظَ جَمَالُها
فِي حُلُمِ الفَنَّان .
وَفِكْرُ الإِنْسَانِ، المَطْرُودِ مِنْ السَّمَاءِ
جَذَبَ إلى نَفْسِه رَوْعَة الكَوْنِ
وَحَقَّقَ الوحْدَةَ بَيْنَ المُتَشَكِّلِ واللاَّمُتَشَكِّل
تَحِيَّتُكِ كالجَوْهَرَةِ التِي تُزَيِّنُهُ
حِينَ يَضُمُّكِ

إن النُّور الصَّافِي الطَّاهِر الذِي تَرَاهُ بِهِ
عَيْنَاكِ المُسْتَضِيئَتَان بِالعِبَادَةِ لَهُ
قد رَشَّ وُجُودَه كُلَّهُ
وَوَسَمَ جَبِينَهُ بِسِمَةِ العَظَمَة.
أن تَكُونِي إلهة، أو مُجَرَد امْرَأةٍ
فَإن الأَشِعّة التي انطَلَقَت مِنْ قَلْبِكِ
قَد طَوَّقَتْهُ بِنُورٍ قُدُسِي
لَقَدْ وَجَدَ وَجْهَهُ الحَقِيقِيَّ فِيكِ
صَوْت النَّصْر.
وَحُبُّكَ قَد وَلَّدَ فِيه
النِّعْمَةَ المُشِعَّةَ فِي وُجُودِهِ
والرَّحِيق الذِي يَحْتَسِي
يَنْسَكِبُ مِنْ قَلِبكَ المُفْعَم
تَمَامَاً، مِثْلَ الهَالَةِ الرَّائِعَة التِي تُحِيطُ بالشَمْسِ
عِنْدَ أَوَّل بُزُوغِهَا

وَهَكَذَا فَإن وَحْي اللَّه يُتَوِّجُ رَأْسَكِ
وَحِينَ يَلْمَس الأَرْضَ يَنْحَنِي فِي إجْلاَل

* * *

العام المنصرم

الرِّحْلَة تَنْتَهِي
وَظِلاَلُ المَوْتِ تَتَكَاثَف
عِنْدَ نِهَايَة الطَّرِيقِ الغَرْبِي.
والشَمْسُ الغَارِبَةُ
تَجُودُ عِنْدَ رَحِيلِها
بِكُنُوزِهَا، وَتُبَدِّدُها بِكِلْتَا يَدَيْهَا.
وَفِي إِفَاضَةِ الأَلْوَان
أَرَى
أُفُقَ المَوْتِ المُضِيءِ
وَعَظَمَة الحَيَاة.
وَتَتَوَّقَفُ أَنْفَاسِي
بِهَذِهِ الكَلِمَات التي تَنْطَلِقُ مِنِّي

(مَا أكثر مَا أحْبَبْتُ)

إن السِرَّ الأَبَدِيّ الذِي يُفْعِمُ ضِفَافَهُ
قَد حَقَّق وَحْدَةً حَميمَةً، بَيْنَ الحَيَاة والمَوْتِ.
واللَّيلُ والنَّهارُ قَد مَلأا بالرحِيقِ
كَأْسَ أَلَمِي.
لقد رَحَلْتُ وَحِيداً
فِي الدَّرْبِ القَاسِي حَاجًّا نَحْوَ الأَلَم.
تَلْفَحُنِي شَمْسُ إبريل اللاَّهِبَة.
مَا أَكْثَرَ الأَيَامَ
التِي بَقِيتِ فِيها بِلا رِفَاق!
مَا أكثَر اللَّيَالِي
بِلاَ مِصْبَاح!
وَمَع ذَلِكَ فَفِي أعْمَاقِ قَلْبِي
شَعَرْتُ بِلَمْسَتِكَ.
وإكلِيلُ شَوْكِ الإفْكِ والبُهْتَانِ

مِئَةَ مَرَّةَ جَرَحَنِي.
وَلَكِنَّنِي تَقَبَّلْتُهُ كَمَا لَو كَانَ إِكْلِيلَ الزَّفَافِ
مُتَأَمِّلاً بِعَيْنَيْن مُصَوَّبَتَيْن
الوَجْهَ المُضِيءَ لِلأَرْض.
فَغَمَرَتْنِي لأَكْشِيمي التِي تُقِيمُ
بين آلافِ أَزهَارِ اللُّوتَس
بِسَخَاءٍ لاَ حَدَّ لَهُ
أَصَابَتْنِي رُوحاً وَجَسَداً.
فَأَسرت فِي نَايِي
زَفْرَةَ الدُّمُوعِ وَابتِسَامَاتِ الكَوْن.
أُولئِكَ الذِين تَجَسَّدُوا (كَبَشَرٍ)
وَجَهَرُوا (بالكَلِمَةِ) المُقَدَّسَةِ المُضْمَرَة
التِي يَتَعَذَّر التَّعْبِيرُ عَنْهَا
هُم أَشْبَاهِي وَأَمْثَالِي.
مَا أَكثَر المَرَاتِ التي وَجَدتُني فِيهَا مَهْزُوماً

فِي الخَوْفِ وَفِي الخِزْي .
وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي صَوْتِي كَان يُدَوِّي
النّصْر اللاَّمَحْدُود .
وَرَغْمَ مَا قَدْ يُصِيبُ عِبَادَتِي من نَقْص
فَمِن حِينٍ إلى آخَر كَانَ قَلْبِي
البَاكِي
يَفْتَحُ أَبْوَاب السِّجْنِ عَلَى مصارِيعهَا .
فِي هَذِه الحَيَاةِ تَلَقَّيْتُ
حَقَّ المِيلاَد كَإِنْسَان .
وَذَلِكَ هُوَ حَظِّي الطَّيِّب .
والرَّحِيقُ المُقَدَّس بالنِّسْبَةِ لِي
كَانَ يَجْرِي عَبْرَ العُصُورِ
فِي الفِكْرِ، فِي المَعْرِفَة ، فِي العَمَلِ .
والكَمَالُ
الذِي تَتَأَلَّق صُورَتُهُ مُشْرِقَةً مُضِيئَةً فِي قَلْبِي

أعْرِفَ أنَّه سَيَتَوَزَّعَ عَلَى الجَمِيعِ .
جَالِساً جَلْسَةً تَأَمُّلِيَّة
فَوْقَ البِسَاط التُّرَابِي
رَأَيتُ (الوُجُود الأَسْمَى)
مَرْشُوشاً بِالنُّور الذِي يَتَأَلَّق فَوْقَ كُلِّ الأَنْوَارِ .
إِنّه أَصْغَر من أَصْغَرِ حَبَّةٍ .
وَأَكْبَرُ مِنْ أي عَظَمَةٍ .
إنَّه هُو
لَقد وَجَدْتُه فِيمَا وَرَاء إِمْكَانِيَات الحِسّ
وَنَفَذَ فِي حِجَابِ جَسَدي .
وَرَأَيْتُ فِي وَمَضَاتِ مُفَاجِئَةٍ
اللَّهَبَ الذِي لاَ يَخْمَدُ .
وَفِي كُلِّ مَكَانٍ
قَدَّم فِيه رَجُلُ اللَّهِ
قُرْبَاناً

كَانَ لِي نَصِيبٌ مِنْ بَرَكَتِهِ.
وَفِي كُلِّ مَرَّة يُحَرِّرُ فِيها الإِنْسَانُ نَفْسَهُ
مِنْ أَدْغَالِ الوَهْم
أَتَعَرَّف فِيه عَلَى نَفْسِي.
وَفِي كُلِّ مَرَّة يُسَيْطِر فِيها البَطَلُ
بِلاَ خَوْفٍ، عَلَى المَوْت
يَكُون لِي فِي تَارِيخِه مَكَان.
وَأَمَامَه هُو
الذِي يَسْمُو عَلَى كُلِّ سُمُوٍّ
أَنْحَنِي
رغْمَ أَنَّني أَنْسَى كَثِيراً أن أَتَغَنّى بِاسْمِه.
إِنَ بَرَكَة السَّمَاوَاتِ الصَّامِتَة
وَنَشْوَةَ الفَجْرِ الوَلِيد
قَد أَصَابَتَا قَلْبِي.
وفي هَذَا العَالَم المَلِيء بالفِتْنَة

وَفِي هَذِهِ الحَيَاةِ العامِرَة بالعَظَمَةِ
فَإِن المَوْتَ يَحْمِلِ إِليَّ تمامي.
اليَوم، آخِرِ أَيَّام العَامِ
وَحِين تَحِين سَاعَة الوَدَاع
أَيُّها المَوْتِ، أزِح حِجَابَك.
مَا أَكثَر الأَشياء التي رَحَلَت
إِنِّي أعرف، إِنِّي أَعْرِفُ.
كَثِيرٌ مِن العَطْفِ، كَثِير مِن الحُبِّ.
وَقَد انْطَفَأَ المِصْبَاحُ
دُون أن يُخَلِّفَ ذِكْرَى.
إِن يَدَكَ أَيُّها المَوْتُ لمُفْعَمَةٌ
باللَّحْظَةِ التِي هِيَ أَبَدِيَّة.
وَيَدُكِ أَنتِ أَيتُها النِّهَايَة
لَعَامِرَة بالكَنْزِ الذِي هُوَ خَالِدٌ.

حياة

لا أُريدُ أن أموتَ فِي هَذَا العَالَمِ الجَمِيل
وَلَكِنْي أُريدُ أن أَحْيَا فِي قَلْبِ الإنسَان
وَأَنَ أَجِدَ فِي الغَابَةِ المُزْهِرَة
الشَمْسَ مِحْرَاباً
إن لُعْبَةَ الحَيَاةِ تتَصَاعَد كَالأَمْوَاج
بِدُمُوعِهَا وَابتِسَامَتِها
وَلِقَائِها وَفِرَاقِها
وَهِيَ تُوَحِّدُ مَعاً
آلامَ وَأَفْرَاحَ الإِنْسَان
أُريد أن أَبنِي فَوقَ هَذِه الأَرض
بَيْتِي الخَالِد
وَأَن أَحْمِلَ أُغنِيَات كالزُّهورُ المُوشِكَة

عَلَى التَّفَتُّحِ
لِكي أَجْمَعَها لَك
وَأَحْمِلَ الْفَجْرَ والغُرُوبَ
فَخُذيها ضَاحِكَةً
وَحِينَ تَذْبُلُ
انثُريها بَعيداً

* * *

أنا[1]

فِي ضَمِيري
تَأَلَّقتْ زُمُرُّدَةٌ خَضْرَاءُ سَاطِعَةٌ
وَيَاقُوتَة حَمْرَاءُ
وَفَتَّحتُ عَيْنِي نَحْوَ السَّمَاء
فَرَأَيتُ نُوْرَاً يَتَصَاعَدُ فِي الشَّرْقِ والغَرْب
فَالتَفَتُّ إلى اللَّوْن الوَرْدِي
وَقْلتُ (جميل)
وَلَقد كَانَ حَقَّاً جَمِيلاً
سَتَقُولُ
(إنها الفَلْسَفَةُ وَلَيْسَت صَوتَ الشَّاعِر)
فَأُجِيبُ
(إنها الحَقِيقَةِ فَهِي إِذَن الشِّعْرُ)

هَذَا هُوَ فَخْرِي تِجَاهُ كُلِّ البَشَر .
عَلَى نَسِيج فَخْرِ الإنْسَانِ
يَظْهَرُ الفَنُّ العَظِيمُ الذِي يُبْدِعُهُ الفَنَّان
وَيُغَمْغِمُ الحَكِيمُ وَهُوَ يُغَنِّي بِمَسْبَحَتِهِ
لا . . لا . . لا . .
لاَ زُمُرَّد ، وَلاَ يَاقُوت ، وَلاَ نُور ، وَلاَ وَرْدَة
وَلاَ أَنْتَ . . وَلاَ أَنا
مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، ذَلِكَ الذِي هو لاَنِهَائِيّ
قَد تَأَمَّلَ من دَاخِلِ حُدُودِ الإنْسَان
إِنَّه هُو الذي يُسَمَّى (الأَنَا)
وفي كَهْفِ هذَا (الأَنَا) اتَّحَدَتْ الظُلْمَةُ
والنُّورُ
وَبَدا شكل . فاسْتَيْقَظ (رَازَا)
وَعِنْدَئِذ ، لاَ أَدْرِي مَتَى ، وَبِدَهْشَة (مَايَا)
ازدَهَرَت (اللا) التي فِي الخُطُوطِ

والألوانِ
وفِي الفَرَحِ والألَمِ
في (نعم)
لاَ تُسَمِّ ذَلِك فَلْسَفَةً
فِي مَصْنَع (الأنا) الكَوْنِي.
وَبالرِّيشَةِ فِي اليَدِ، وَالألوَان فَوْق المِرْسَم
وَجَدْتُ الفَرَحَ
فَقَالَ المُثَقَّف
إن القَمَرَ القَدِيم بِابتِسَامَة خَبِيثَة مَاكِرَة
وَكَرَسُول لِلمَوْتِ، سَيَتَّجِه للاحتِكَاكِ
بالأَرْضِ
وَفِي يَوْمِ مِنْ الأيَّامِ سَتَشْعُرُ البِحَارُ
والجِبَالُ، بِجَاذِبِيَّتِهِ العِمْلاَقَةِ الأَخِيرَة
وعلى الأرض، و فِي الكِتَابِ الكَبِير للزمَّن
سَتُمْلأُ الصَّفْحَةُ الجَدِيدَةُ بِرَقْمِ صِفْر

كَبِير
يَبْتَلِعُ الرُّبح والخَسَارَة .
وَأعمالُ الإنسانَ تَفْقِد كُلَّ حُجَّة للخُلُود
وَحْبَرُ نَيْلَةٍ لاَ حَدَّ لَهَا سَيَمْحُو التَّارِيخَ
وَعَيْناَ الإِنْسَان وهُوَ يَحْتَضِرُ
سَتُلْغِيَان أَلْوَان الكَوْن .
وَعَقْلُ الإنسانَ وَهُوَ يَحْتَضِرُ
سَيُجَّفِفُ (الرَّازَا)
وَضِلاَلُ العُنْفِ سَتَهُزُ السَّمَاوَات
ولَن يَتَأَلَّق بَعْدَها أَيُّ نُور
وَتَرْغَبُ الأَنَامِلُ في العَزْف
ولَكِن لَنْ تَتَوَّلَدَ الأَنْغَامُ
في ذلِك اليَوْمِ الذي يَتَجَرَّدُ فِيهِ
الخَالِقُ من الشَّاعِرِيَّةِ
سَيَجْلِسَ غَارِقاً في التَّفْكِيرِ

وحَيدِاً في السَّمَاءِ
دُون زُرْقَة الوُجُودِ اللاَّشَخْصِي
في هَذا الكَوْن اللاَّمَحْدُود
وعَاَلم بَعْدَ عَالَم
لنَ يَكُونُ هُنَاكَ مَكَانٌ يُرَدِّدُ صَدَى
هَذهِ الكَلِمَات
أَنْت جمِيلٌ
أَنا أُحِبُّك؟
وَغَرِقَ الصَّانِعُ من جَدِيد في تَأَمُّلٍ لاَ حَدَّ لَه
فاركاً حَبَّاتِ مِسْبَحَتِه، وهو يُغَمْغِمُ
بِهذَا الدُّعَاء
تَكَلَّم آهٍ، تَكَلَّم
قلْ . . . أنت جَمِيل
قُلْ . . إني أُحِبُّك؟

* * *

أنا (٢)

أَتَسَاءَلَ إِذَا كُنْتُ أَعْرِفُه
في حِدِيثه صَوْتِي
وفي حَرَكَتِه وُجُودِي
وَمَهَارَتُه في مَلاَمَحِي
وألحَانُه فِي أَغانِيّ
في الفَرَح والحُزْنِ
أُفَكِّر أنَّه مَغْلُولٌ في دَاخِلِي
مَشْدُودٌ بالدُّموعِ والضَحَكات
بالعَمَل واللَّعَبِ
وأَفَكِّر أنَّه ذَاتِي الحِقِيقِيَّة
التي سَتَبْلُغُ النِّهَايَةَ بِمَوْتِي
فَلِمَاذا إِذن أَشْعُرُ بِهِ

فِي تيَّارِ مِن الفَرَحِ
عند رُؤْيَةِ ومُلاَمَسَةِ مَحْبُوبتِي؟
إِنِّي أَجِدُ هَذَا (الأَنَا) أَبْعَدَ مِن ذَاتِهِ
فِي ضِفَافِ البَحْرِ الوَضَّاء
إِذَن فَأَنَا أَعْرِفُ
أَنَ هَذَا (الأَنَا) لَيْسَ مَأْسُوراً
دَاخِلَ حُدُودِي
إِنّي أَجِدُه حين أُضيِّع نَفْسِي
أَبْعَد مِن حُدُودِ الزَّمَن والمَكَان
عَبْرَ الأَحْقَابِ
وَصَلَت إليّ مَعْرِفَةُ (أنَاه) اللاَّمِعة
في حَيَاة البَاحِث
وفي صَوْت الشَّاعِرِ
ومن الغُيُوم القَاتِمَة تَهْبِطُ الأَمْطَارُ
إِنّي أَجْلِسُ وأُفَكِّرُ

حَامِلاً أَشْكَالاً عَدِيدَةً وأَسْمَاءً عَدِيدَةً
أَصِلُ مُجْتَازاً كَنْزَ العَدِيدِ مِن
المَوالِيدِ والمَوْتَى
إلى الأَسْمَى المُوَّحَد، الكَامِلِ في ذَاتِهِ
مُعَانِقاً المَاضِي والحَاضِرَ
السَّاكِنَ في الإنسَان
وفي دَاخِلِه أَجد نَفْسِي
« الأنا » التي تَبلُغ كُل مكَانِ

* * *

لوحة

لَقَد رَسَمْتُك بِرِيَشيتي
مَلْمَحاً بَعْد آخَر
ومن أَعْمَاقِ اللاَّصَوْتِي
قد قدمتك إلى هَذا العَالَم
الذي يَتَقَاسَمُه المَدْحُ والهِجَاء
و بِسَبَب هَذا التَّطَاوُلِ الذي أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ .
سَأَلُوني :
هل تَحْمِلُ في نَفْسِك خَيْبَةً ضِدَّ خَالِقِك؟
وطوَال الوَقت الذِي كُنْتُ فِيهِ غَيْرَ ظاهِر
كانت أَشْكَالُ العَالَم العَدِيدةُ تَرْقُصُ
في صَخَب، على إيقاع الخَلْقِ والتَّدمِيرِ
وكُنْتَ تَنْتَظِرُ في الفَرَاغِ ، فَنَّاناً

لِيُصْغِي إلى نَحِيبَك الصَّامِت
ولِيُمْسِكَ بِك
في حُدُودِ النُّورِ والظَّلِّ
والأبْيَض والأسْوَد.
كُنْتُ أَعْبُرُ الطَّرِيقَ
حِينَ نَفَذَ نَدَاؤُكَ في الفَضَاءِ الخَالِي
للَّاوُجُود
وبِصمْتٍ لَمسْتَ جَبِينِي
كَحُلُم ٍ ضَبَابِيّ
ومن بَحْر اللَّاشَكْل
حَمَلْتُك إلى عَالَم الخُطُوط
أَهَذا العَنَاء الذي
في قَلْبِ الشَّكْل ِ؟
ولِعَيْبٍ في الجَمَالِ
يَنْبَغِي أَن يَظَلَّ عَمَلِي مُضطرِباً

دون أن يُشَرَّفُ ويُكرَّمَ بِالقَدَر الكَافِي
حَقيقَة الوُجُودِ؟
فَليَكُنْ
إِن خَطأً في الشَّكل
لنَ يَظَلَّ قَائِماً إلى الأَبَد
ولَكِنَّهَ سَوْفَ يَخبو بِسَبب ثِقْلِهِ
وَستَكُونُ مِن جَدِيدٍ حُرَّاً
ظَاهِراً من بَحْرِ اللاَّشَكْلِ
الذِي لاَ يُمْكِنُ التَّعْبيرُ عَنْه

إدانة

لاَ تُدِنْ أَحَداً
إن المَكَانَ الذي تَعِيشُ فِيهِ
لَيْسَ سِوَى زَاوِيَةٍ صَغِيرَةٍ من هَذِهِ الأَرْض
مَهْمَا بَلَغت عَيْنَاكَ مِن النَّظَرِ البَعِيد
فَهُمَا لاَ تُحيطانِ إلا بالقَلِيل
وإلى القَلِيل الذي تُصْغِي إِليه
أَضِفْ صَوْتَكَ
وإنَّك لتحفَظُ جانِباً وبِعَنايَةٍ دَقِيقَةٍ
الخَيْرَ والشَّر والأَسْوَدَ والأَبْيَض
ولكنْ عَبَثاً ترسم خطّاً
لِكَي تُشِيرَ إِلى الحُدُود
إِذا كَان هُنَاك نَغَمٌ خَفِيٌّ فِي نَفْسِكَ

أَيْقِظْهُ بِمُجَرَّدِ عُبُورِكَ الطَّرِيق
فَلَيْسَ في الغِنَاء خِصَامٌ
ولاَ دَعْوَةٌ إلى العَمَلِ
مَن كَان رَاغِباً فِيه تَجَاوَبَ مَعَه
ومَن لم يَرْغَبْ فِيه فَإِنَّه يُعَدِّي عَنْهُ
مَا يَهُمّ أَن يَكُونَ بَعْضُ النَّاس أَخْيَاراً
وبَعْضُهُم أَشْرَاراً؟
إِنَّهم جَمِيعاً مُسافِرُونَ عَلَى الطَّرِيقِ نفْسِهَا
لا تُدِنْ
أَوَّاه إِن الزَّمَنَ لَيَطِيرُ
والجِدَال عَبَثٌ
فَانْظُرْ إلى الزُّهُورِ التي تَتَفَتَّحُ عِنْدَ حَوافِي الغَاب
إِنَّها تَحْمِلُ رِسَالَةً من السَّمَاء
لأَِن السَّمَاء صَدِيقَةُ الأَرْض
وفي أَمْطَارِ يُولِيو

يُغَطِّي العُشْبُ الأَرْض بِالخُضْرَة
وتَمْلأَ كَأَسَها حَتَّى الحافَّةِ
نَاسِيَةً إياك
فَلْتَمْلأْ قَلْبَكَ بالبَهْجَةِ السَّاذَجَة
أيُّها المُسافِرُ
وانْثُر بِحُرِيَّةٍ، وعلى طُولِ الطَّرِيق ،
الكَنْزَ الذي تَجْمَعُه وأنت تُوَاصِلُ المَسِيرَ

المجهول

فِي ميدان السُّوقِ التي تَعِجُّ بالنَّاس
أَرى آلافَ الوُجُوه
أَلاف القِصَصِ ، تَأتِي وتَذْهَب
فِي ضَوءِ النَّهار
وفي ظِلاَل اللَّيْل
وعَبْر كُلِّ الأَزْمَانِ المُقْبِلَة
ومَا مِن أَحَدِ يَسْتَطِيعُ أَن يعرِف
قِصَّتهم الكَامِلَة
وفي أَعْمَاقُ مُنَاقَشَاتِهم العَالِية
فَإِنَّ تَرْثَرَتهم التي لاَ تَهْدَأُ
تَتَنَاوَلُ عَمَل الخَلْقِ الرَّحِيبَ المُتَنَوِّع
نِصْفَ مَنْسِيّ، ونِصْفَ مَذْكُور

لاَ يُسْمَع صَوْتٌ، ولاَ يُشَاهَد نُور
ومن مَاضٍ سَحِيقَ قِصيٍّ، هَذِه الأَصْوَاتُ
الخَفِيَّة
هَذه القِصَص التي لَم تُسْمَع من قبل عِدَيدِ من البَشَر
تَتَدْفَّق كالمُجْرَى الأَرْضِي
إلى مُحيطِ المَوْت
ما الذِي حَدَث لَها؟
مَا هَو الهُدَف؟
أيُّها المَحْبُوب؟
في سَمِاعِي لك، ورُؤْيَاي ولَمْسي لَك
فإِن القَلِيل الذي أَعْرِفُه لا يُمَثِّلُ شَيْئاً
إذا ما قُورنَ بِرَحابةِ السِرِّ
الذي لَم يُسْمَعْ ولم يُرَ
فالذي انغَلَق على نَفْسِهِ في اطمِئْنَان وأَمْن
مَنْ يَنْتَظِر؟

ومِفْتَاح تِلك الغُرْفَةِ إنَ لَم يُكُن عِنْدَكَ
فَفي يَدِ مَن يُوجَدُ؟
تَعْرِف المَجْهُول الأعْظَم
والمَجْهَول الخَفِيَّ في قُلُوبِنَا
وأي حُبّ يَتَجَاوزُهُ حُبُّكَ
والذِي يَرْفَعُ كُلُّ غَامِضٍ مُبْهَم
حِجَابَهَ
أَمَامَ نَظْرَتِهِ الخَيِّرَةِ

انسجام

لَن أَلُومَكَ
كُلُّ الجِرَاحِ ، وكُلُّ الأَخْطَاء التِي تَجُرُّهَا
عَلَيْنَا حَياتُنَا
وتَجْعَلُ مِنْكَ مُتَأَلِّماً
تَأْتي من القَدَرِ القَاسِي
إِنِّي أَعْرِفُ أَنَّك غَيْرُ بَعِيد
في السَّمَاء البَعِيدَةِ
ولَكِنَّك تَسْكُن فِيَّ
وتَحْمِلُ ثِقْلِي لَيْلاً ونَهَاراً
مُجْتَازاً حَاجِزَنا الذي لاَ يُمْكِنُ اجتِيَازُه
دَعْ سَيْل الأَخْذِ والعَطَاءِ يَتَدَفَّق
وأن أَتَمَكَّن

مِنَ أَنْ أَخَفِّفَ بِتَعَبِي هَذَا الحِمْلَ
وأن أَحِلَّ العُقَدَ المُتَشَابِكَة للعُبُودِيَّة .
أن تَنْسَاني وَتْقَطعَ هَذا العَالَم الرَّحِيب
بِلاَ خِصَام بِلاَ إِجْبَارِ
مَانِعاً كُلَّ قَلَقٍ
فَسَوْفَ نُؤَلِّفُ مَعاً لَحْناً
يَرْتَفعُ حَتَّى السَّمَاء

القادم الجديد

جِئتُ من الأَقاصي البعيدةِ
من أعماقِ سُيُولِ الزَّمَن
وحين بَلَغْتُ ضِفَافَ عَصْرِكُم
لم يكن لي رِفَاقٌ
لأنهم رَسَوْا في مَرَافِئِ أخرى .
الأفراحُ القليلةُ التي عرفتها ،
وَعَطَايَا قَلْبِي
وَزَّعْتُها كُلَّها
وأَنَا أَهْبِطُ على طُول السَّيْلِ
في عَصْرِي
وحِينَ وَضَعْتُ قَدَمَيَّ في هذه الحَيَاة
أخَذَت مَطَالِبي تَزْدَاد

خُطْوَةً خُطْوَةً
عَبْرَ العَمَلِ والتَّفْكِير،
اللُّغَةِ والحَرَكَة،
الأَخْذِ والعَطَاء للحياةِ اليَوْمِيَّة
في الابتِسَام واللَّعِب.
أي أن أسْتَمِرَّ بطَرِيقَةٍ ما في الحُضُورِ العادِيِّ،
وأن أَمْلأَ بِطَرِيقَةٍ ما مَشْهَدَ الحَيَاة،
كَان هَذا يَكْفِيي.
واليَوْمَ في عَصْرِكُم هذا أَجِد نَفْسِي غَرِيباً
ولُغُتُنا تَجِدُ لَها مَعْنًى جَدِيداً
على شِفَاهِكُم.
والفُصُولُ تَغَيَّرَت
حتَّى الرياحُ اضطَّرَبت وارتَبَكَت.
تَطْفَحُ بَعْضُ الخِلاَفَات البَسِيطَة
وتَصْطَدِم بالضَّحِك.

المَشَاعِرُ، الآمَالُ، الرغُباتُ
التي تُعْطي طَعْماً للحَيَاة
كُلُّها تَغَيَّرت .
إن الصَّدَاقَة التي وَهَبْتُها في عَصْرِي
رغْمَ ضَآلِهِ قيمتها
ما تَزالُ تَرْبِطُ الإنْسَانَ بالإنْسَان
وتُتْرُكُ طَابِعَها على العَصْر.
صَدَاقَتِي هَذِهِ لاَ يُمْكِنُ أن تُحْسَبَ
بمقاييس عَصْرِكُم
إن الزُّهُور التي تُزَيِّنُ مَوائِدَ هَذِهِ الأَيَّام
لاَ تَنْمُو في حَدِيقَتِي،
وليس في وُسْعِي أن أَدْفَع أَجْرَ الزَّاوِيَة
التي أَشْغَلُها من قَصْرِكُم المُنِيف.
إذنَ عليَّ أن أُعطِي الكَثِير وبأَقصَى جُرْأَة
ولَكِن هَذِه الهِبَةَ لا تُقَدَّم لإرضَاءِ مَطَالِب

الحَاضِر
فَإذا لَمَ تكُن لِتُوَافِقَ ذَوْقَكَمْ
فَإن قِيمَتها يُمْكِنُ أن تُوَجَّهَ إلى المستقبل
ومع ذَلِك، فإني وبِكل ما أَمْلِك.
لاَ يَنْبغِي فَقَط أَن أسَدِّدَ دُيوني نَحْو الحَاضِر
ولَكِن أَرْجُو أَن يَكُونَ هَذا الحَاضِر مَدِيناً لي
إن ما هو أَبْعَدُ من الرِّبْحِ والخَسَارَة
ومَا هُو أَعْظَمُ من الفَرَح الخَالِصِ أو الأَلَمِ المُوجَع
هُو قُدْرَتِي عَلَى أَن أَهَبِ كُلَّ شَيء
دُون أَنِ أَزِنَ بِكَفَتي مِيزَانِ
المَدْحَ أَو الذَمَّ.

الجرّة

يَا إِلَهي ، إِنَّك خَلِيقٌ بِالعِبَادَة
يَا سَيِّدَ حَيَاتِي
أَنْتَ تَعْرِفُ أن طَائِفَتي وَضِيعَة
ورَغْمَ أَنَّك طَرَقْتَ جَمِيعَ الأَبْوَابِ الأَخْرَى
فلماذَا جِئْتَ إِلَيَّ بالذَّات؟
كُنْتُ أَحْمِلُ جَرَّتي ، تَحْتَ شَمْسَ الزَّوَالِ
اللاَّفِحَةِ
وكُنْتُ أُسْرِعُ الخُطَى نَحْو بَيْتِي
في ذَلِك الدَّربِ المُلْتَوي
وطَلَبْتَ مِنّي مَاءً :
إِني امرأة من طَائِفَةٍ وَضِيعَة
كَيف أَجْرُؤ على تَلْوِيثِكَ؟

وسَكَبْتُ الجَرَّة
ولَمَسْتُ قَدَمَيْك بجبيني
وقُلْتُ: لاَ تَجْعَلْنِي مُذْنِبَةً
وحِينئذٍ نَظَرْتَ إليَّ باسِماً قَائِلاً:
آه، أَنْتِ يا مَن صُنِعتِ من الأَرْض
تَمَاماً، مِثَل ما الكُرَةُ الأَرْضِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ
وَمَغْمُورَةٌ بالأَخْضَرِ النَّضِير
هَكَذا أَنْتِ يَتَحَقَّقُ فِيك عَرْشُ (لاكشمي).
لَيْس للجَمَال طَائِفَةٌ
إنَّه حُرٌّ
إِن الفَجْرَ الوردي يَكْسُوه بِجَوَاهِرِه
ولَكِ يَنْسِجُ اللَّيْلُ أَكالِيلَ النُّجُوم
اصْغِي إلى كَلِمَاتِي
إن زَهْرَة اللُّوتَس المُتَعَدّدَة البَتلات
والتي تَتَفَتَّحُ

لَيْستَ لها طَائِفَة
هَل هِي مُدَنَّسَةٌ تِلْك التي يَتَأَلَّقُ
فوقها نعيم السماوات؟
حَيْثُ يَفْرَحُ اللَّهُ بِخَلْقِهِ
تَنْسَكِبُ هُنَاكَ عَلَى الدَّوَام
مُبَارَكَةُ الكَوْنِ.
وَحِينَ نَطَقَ بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ المَلِيئَةِ بِالمَاءِ
وبِصَوْت الغَيْمَةِ المُدَوِّي
اخْتَفَى.
ومُنْذ ذَلِك الحِين
وفي كُلِّ يَوْم مَع ضَوْء الفَجْر
أَرْسُم وأُزيِّن بِعِدَّةِ أَلْوان
هَذا الوَعاء الرَّهِيفَ
لِكَي أُخْفِي انتِمَاءَه الأَرْضِي
آه، أيها المتسامي في عُلاَه

أَيُمْكِنُ أَن تُرْفَعَ إلى أَعْتَابِكَ
الهَدِيَّة المُقَدَّسةُ للجَمَال
مِن تِلك التي شَمَلْتَها بِقَبُولِكَ
حِين نَزَلْت عَنْ عَرْشِكَ السَّامِي؟
إن عَقْلِي لَمَحْجُوبٌ
بِحِجَاب عَالَمِنَا هَذَا الفَانِي
وَهُوَ يَرَاني عَبْرَ إشاراتٍ
فِي النّورِ وفي الظَّلْمَةِ
مُفْتَرِضاً ومُجَرِّباً
وَاضِعاً كُلَّ هَذَا معاً.
آمَاله، وَظَمَأهُ
وَمَشَارِيعَهُ الخَاصَّة
وَأحياناً، إذَا تحَسَّنَت أَحْوَالِي
يَرَانِي مُتَجَدِّدَةً
الشُكُوكُ قَامَتْ عَلَى الدَّوَامِ

وَمَا أكثر الأَيَّامَ التي مَرَّت

عِنْدَ ضِفَافِ هَذَا البَيْت.

إن عَالَمِنَا لَيُحِبُّهُ

وَيَلهُو مَعَه

وإذا انتهَى كُلُّ ذَلِكَ

تَبَاعدَ عَنْهُ

وَإني لأَتَسَاءَلُ

إذَا كَانَ فِي العَالَم الثَّاني

وَبِعَيْنَيْهِ المُقَدَّسَتَيْنِ

المُتَحَرِّرَتَيْنِ مِنْ الخِدَاع

سَيَرَانِي؟

وهَلَ سَأكُونُ هُنَاكَ أنا نَفْسِي؟

وَبِقَدْرِ مَا عَرَفني حَتَّى الآن

فَلَستَ واضِحَةً مَعَهُ كُلَّ الوُضُوحِ

كَمَا أنه هُو أيضاً لَيْسَ وَاضِحاً مَعِي كُلَ الوُضُوح

أيَّها الإِنْسَان
إن النُّور الكَامِل لَيْس شَيْئاً سِوَى الدَّمَار
إن مَهَارَة يَد الخَالِق
تَلْهُو بِالاختِفَاءِ
وَتَبْحَثُ فِي النُّورِ والظِّلالِ
وفِي تِلك (المايا) أَقَمْنَا مَعاً
قَاعَة أَلعَابِنَا
وَخُدِعْنَا بِوَهْمٍ غَيْرِ الكَامِلِ
إن الكَّامِلَ فقَط هُو القَاسِي
المَكْشُوفُ، الصَّامِت..

إنِّي استَيْقِظُ مِنْ جَدِيد
واللَّيْلُ يَنْهَارُ
والكَوْنُ يُفَتِّحُ أَفْوَاف زُهُورِه
تِلْكَ مُعْجِزَةٌ لاَ حَدَّ لَهَا

قَارَّاتٌ قَد غَرِقَت
وَنُجُومٌ قَد خَبَت
وَعُهُودٌ بَلَغَت نِهَايَتها
وَأَبْطَالٌ مِنْ الفَاتِحِين لِهَذَا العَالَم
قَد تَوَارَوا فِي الأَسَاطِيرِ
وَدُوَلٌ رَفَعَت أَعْمِدَة نَصْرِهَا
فِي الوَحَل المَنْقُوعِ بِالدَم
لِكَي تُرضي الجُوعَ التُّرابِي الذِي لاَ يَعْرِفُ
الشَّبَعَ
وَفِي وَسَط دِمَاء هَذَا الخَرَاب
الكَبِير
يَتَلَقّى جَبِينِي
مُبَارَكَة أَوَائِلِ أَشِعَّةِ الفَجْر الوَلِيد
فِي خِتَامِ لَيْلَة أُخْرَى.
تِلْكَ مُعْجِزَةٌ لاَ حَدَّ لَهَا

واليَوْمَ
وَفِي وَسَطِ مَوْكِب النُّجُوم ِ
أُحِسّ أَنَّني شَيْءٌ وَاحِدٌ
مَعَ الهِمَلاَيا
وَشَيء وَاحِد مَع البَسْتَارِ يشِي
وَأَجِدُنِي هُنَاكَ
حَيْثُ تَرْقُصُ الأَمْوَاجُ
لِضِحْكَة (رودرا) الرهيب
أَيَّتُها الأَحْقَابُ
التِي كُنْتِ شَاهِدَاً عَلَى قِيَام ِ
وَسُقُوطِ التِّيجَان والصَّولَجَانَات
لَقد تَرَكْتِ شَيْئَاً مِنْ طَابِعَهم
فِي دَوَائِر هَذِّه الشَّجَرَة العَرِيقَة
وَأَشْعُرُ أَنَّني قَد خُصِصْتُ بِميزَةِ
الجُلُوس ِ تَحْت ظِلِّهَا

لِيَومٍ آخَرَ أَيْضَاً
وَتِلْكَ مُعْجِزَةٌ لاَ حَدَّ لَهَا

* * *

الباب

أَيُّها البَابُ
إِبْقَ دَوْماً مَفْتُوحاً
وَلَكِنَّ عُيُون السَّمَاء مُغْمَضَةٌ
وَهِيَ لاَ تَعْرِفُ مَا يُوجَد بِالدَّاخِلِ
وَتَخْشَى الدُّخُولَ
أيها البَابُ.
لَيْلاً وَنَهَاراً
نِدَاؤُكَ المُهيبُ لَن يكُونَ صامِتاً
أنتَ تَنْفَتِحُ لِلشَّمْسِ التي تَبْزُغُ
وَتَنْفَتِح لِنُجُوم اللَّيْل
أيّها البَابُ
مِن البِذْرَة إلى الزَّهْرَةِ

وَمِنْ الزَّهَرَة إلى الثَّمَرَة
وَمِنْ حِقْبَةٍ إلى حِقْبَة
وَمِنْ المَوْتِ إلى الخُلُودِ
أَنْتَ تَفْتَحُ الطَّرِيقَ
أَيُّها البَابُ
إن الحَيَاة تَعْبُرُ بَوَّابَة المَوْت
وَفِي لَيْلة اليَأْس
وَعَلى طُولِ طَرِيق الانعِتَاق
سَيَتَرَدَّدُ طَوْعَ أَمْرِكَ
نِدَاءُ الدَّعْوَة
(لا تَخَافُوا)
أَيُّها الصَدِيقُ، إنّي أعْرِفُك
ولكن ذَلِكَ لَيس هُو الحَقِيقَة الكامِلَة
إنِّي أعرفُ الكَثِير مِن الحَيَاة اليَوْمِيَّة
وَأعْرِفُ مَنْ هُو فِي العَمَلِ أو الرَّاحَة

يَبدُو فِي مَلاَمحه الصَّافِيَّةِ
دَاخِلَ حُدُودِه
إِنّي أَتَعَامَلُ مَعَهُم فِي الحَيَاةِ اليَوْمِيَّة
وَأَتَقَاضَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ لي
وَلاَ شَيء غَير ذَلِك .
وَفِي خِضَمّ المُحِيطَات
بَرَزْتَ مِنْ الأَعْمَاقِ
وَدَخَلْتَ حَيَاتِي
فَحَمَلْتَ إِليها المُبْهَمَ والغَامِضَ
الذي يُحِيطُ بِكَ
كَمَا تُحِيطُ الغَيْمَةُ بِالنَّجْمَة
وَقَد جَعَلِ مِنْكَ الفَنَّانُ
بِأَصَابِعِهِ المَاهِرَةِ
شَيْئاً قَرِيباً
وَحِينَ تكونَ بَعِيداً فَقَط

يُمْكِن للرَّاحَة أن تَكُونَ صَمْتاً.
إن الجَمَال الذي يَحْمِي الهَيْكَل الدَّاخِلِي
يَجْعَلُني بَعِيدَاً عَنْكَ بُعْدَاً كَبِيراً

* * *

أمل

لَقَد حَمْلتُ في نَفْسِي طَوِيلاً
الأَمَلَ في أن أَعِيشَ وَحْدي
مع نَفْسِي
في زَاوِيَةٍ مُنْعَزِلَة من هذه الأَرْض
لاَ ثَرْوة ولاَ جَاهٌ
ولكن كُوخٌ صَغِيرٌ فَحَسب
هَذا ما أَمّلَتُهُ
الظِّلاَلُ النَّدِيَّة للأَشْجَار
المَجْرَى الصَّامِتُ للنَّهْر
نَجْمَةُ المَساءِ المُتَأَلِّقَة عِنْد الغُروب
أرِيجُ أَزْهَار الكَامِيلي المُتَصَاعِد إلى النَّافِذَة
أَوَّل أَنْوَارِ الفَجْر التي تُشْبِهُ خُيُوط المَاء

بِكُل هَذَا كُنْتُ أَطْمَحُ أَن أَمْلأَ أَيَّامِي
بالدُّمُوع والضَّحَكَات
لاَ ثْرَوةٌ ولا جاهٌ
ولَكن مُجَرَّدُ كُوخٍ صَغِير
هَذَا مَا أَمَّلْتُه.
لَقَد حَمْلتُ طَويلاً الأَمَلَ
بِأَن تَجِدَ تَأَمُّلاتُ قَلْبِي
صَوتَها الكَامِل
لاَ ثرْوةٌ ولاَ جَاهٌ
ولكن مُجَرَّدُ تَعْبِيري الخَاص
هَذا مَا أَمَّلْتُهُ
إن شَمْسَ الغُروبِ تَرْسُم فَوْق الغُيُوم
صُورةَ تَحَقُّقِهَا
مُمَثَّلة في أَلْوَانِ الطيف
بِهَذِه الطَّرِيقَةِ سَأَخْلُق (مَايَا)

بالظِّلاَل والأَضْوَاءِ
في عَالمِ الأَحْلاَم
بِكُل هَذا سَأَمْلأُ أَيَّامِي
بالدُّمُوعِ والضَّحَكَات
لا ثَرْوَةٌ ولاَ جَاهٌ
مُجَرَّدُ تَفَتُّحِ أَفْكَارِي
وهِيَ ثَمَرَةُ تَأَمُّلاَتي
هَذَا مَا رَجَوْتُه وأَمَّلْتُهُ.

* * *

مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ
وَهَبْتُكَ قلبِي
ولكنَّ دمُوعَك الرَّقِيقَة لَم تُقَدِّسْهُ
وَلَمْ يُنْعِشْهُ نَدَى العَواطِفِ اللَّطِيفَة
لَقَد ذَبُلَت الزُّهُورُ
ولَيْس هُنَاك إِكْلِيلٌ يُزَيِّنُ عُنُقَكِ.

يَبْدُو لِي أَنَّنِي أَرَى اللُّطفَ
يتألّق فِي عَيْنَيْك .
وَلكِنَّه تَلاَشى مِثْلَ الزُّهُورِ الذَّابِلَة
فَإِذَا حَدَث وأَنْتَ تَطَأُ هَذِهِ الأَرْضَ
أَنْ وَقَعَتْ بِذْرَةٌ من يَدَيك
فَإِنَّها سَتعُودُ إِلَيْك
كَحَيَاةٍ جَدِيدَة
كَثَمْرةٍ أَبَدِيَّة
عِنْدَمَا يَرْحَلُ الرَّبِيعُ
فَإِنَّه يَتْرُكُ بَاسِماً
لَمْسَةً الزُّهُورِ على حَافَّةِ الغَابَة .
وَهكَذا
فَإِنَّكِ حين ترحلين
سَتُزْهِرُ ابتِسَامة
وبِإِيقَاعٍ راقِصٍ تَسْقُطُ زَهْرَةٌ

سَيَنْزَلِقُ قَارَبُكِ ويَنْسَابُ في اليمّ
وأنا المَتْرُوك المُتَأَخِّر
سأُحَدِّق في البَعِيدِ
وحِينَ تَسْكُبُ الشَّمْسُ الغَارِبَةُ
أَشِعَّتَها الذَّهَبِيَّةَ
فَوق شِرَاعِكِ
فَإِن الظَّلام يَسوُدَ قَلْبَ اللَّيْل

* * *

لاَ تُوقِظْه ، لاَ تُوقِظْه
إِن هَزِيمَتَه تَعُودُ إِلى القَدَرِ القَاسِي
وَهُو يَتَطَلَّعُ إلى أن يُغْرِقَ جَمِيع الرَّغَبَاتِ
في هَاوِيَةٍ سَحِيقَة
أَيَمْكِنُ أَن يَتَلاَشى ثِقْلُ التَّنَهُّدِ الفَادِحِ
ويَبْلُغَ نَوْماً عَمِيقاً في سَواد الحِبَرِ الأَسْود
مَاحِياً من صَفْحِةِ الذَّاكِرَة

كَلِمَات المَاضِي السَّخِيفَة
دَعْ هَمَسَات لَوْعَتِه تَسْكُت
وتُصْبح صَامِتَةً في مِثْل هُدُوء وَكْرِ
العَصَافِيرِ النَّائِمَة

* * *

القدوم والرحيل

يا حَبِيبتي
تَعالي بِخُطُوات صَامِتَة
كَأَنَّك في الحُلُم .
حِين رَحَلْتِ أَرْسَل البَابُ صَرِيراً
فَاندَفَعْت لِدَعْوَتِها إلى الرُّجُوع
ولكن الحُلُمَ صَار غَيْرَ مُتَجَسِّد
وتَلاَشى في الظَّلاَم
وارتِجَافُ القِنْدِيل ِ مِن بَعِيدٍ
كَان كَسَرابٍ أَحْمَر بِلَوْنِ الدَم

* * *

يا إلَهي
إنّي أُحِبُّ

الأَمْنَ الذي يَسْكُنُ حُقُولَ الأُرْز
المُمْتَدَّةَ حَتى أَقَاصي الأُفُقِ
والصَّوْتَ المُتَصَادِي
في نُورِ الزُّرقَةِ الصَّافِي
والدَّهْشَةَ التي يَتلاَعِبُ بِها
تَدَفُّقُ الأَنْغَام
على الضِّفَافِ المُنْعَزِلَةِ من النَّهْرِ
إن كُوخِي تلفُّهُ الرِّياحُ وتُحِيطُ
به السَّمَاء ويُطَوقُهُ النُّورُ
في اطمِئْنَانِ، وفَرَحٍ، وسَعَادَة
وَمَع ذَلِك فَإِنَّه عِنْدَما وَصَلَنِي
رَسُولُكَ حَامِلاً الدَّعْوةَ السَّامِية
فَإني ألتَمِسُ أن تَهَبَنِي القُوَّة.

* * *

طَوالَ أَعْوَامٍ عَدِيدَة

وبِثَمَنٍ بَاهِظٍ
جبت مُخْتَلَفَ البُلْدَان
وذَهَبْتُ لِمُشَاهَدَةِ المُحِيطَات
ولَكِنِّي لَم أَفْطن
إلى قَطْرَة النَّدى المُتَأَلِّقَة
فَوْق سُنْبَلَةِ القَمْحِ
أَمَامَ عَتَبَةِ بَابِي .

* * *

إِن الحَيَاةَ التي تَتَدَفَّقُ في عُرُوقِي
نَهَاراً ولَيْلاً
تَرْقُصُ عَلَى إيقَاع السَّمَاواتِ العَجِيب
وتَجْرِي عَبْرَ مَسَامَات الأَرْض
نَاشِرَةً أَوْراقَ الفَرَحِ في الزُّهُورِ
والبُذُورِ
وعاماً بَعْد عَام

تَتَناوَبُ الحَيَاةُ والمَوْتُ ، الخُطَواتِ
بِمَدِّ المُحِيطَات وجَزْرِها .
إن الحَيَاةَ الأَبديَّةَ تَنْبِضُ عَبْرَ أَعْضَائِي
خَالِعَةً عَلَيها جلالا
وخَفَقَانُ قَلْبِ العُصُورِ جَمِيعِها
يَرْقُص في أَعْضَائِي

* * *

في صَمْتِ اللَّيْل
وبِعُيُونِ مُبَلَّلَةٍ بالدُّمُوع
قَبَّلتْنِي وهَمَسْتِ في أُذُنِي
إِذَا تَرَكتْنَيَ
فإن ثِقْلَ هَذا الفَرَاغ
سَيُخِيفُني
وعَالَمي سَيَغْدُو قَاسِياً
وضَجَرُ السَّمَاءِ المنتشرُ في الآفاق
سَيُبْعِدُ كُلَّ أمْن .

أَلمٌ غَامِضٌ، مَضَّاضٌ، أَبْكَم
مَوتٌ أَفْظَعُ من المَوْتِ.
وحين سَمِعْتُ ذَلِك مِنْكِ
ضَمَمْتُكِ بِقُوَّةٍ إلى قَلْبِي
وهَمَسْتُ
إذا رَحَلْتِ
فَسَيَتَرَدَّد صَدَاكِ في أغنياتي
ويَشِيعُ فِيها الأَلَم كَالوَمْضِ الخَاطِف
وسوف أَجِدُ في الابتِعَادِ عَنْكِ
بَابَ قَلْبِي
وأجدُ بَيْتَك في عَالَمي
وأصْغَت النُّجُوم إلى هذا الهَمْس
ونَشَرت رِسَالَتَها عَبْر زُهُورِ الغَاب
وحِينئذ وَصَل فَجَأَةً فِرَاقُ المَوْت
وَتَوَقَّفَت مُبَادَلاَتنا الغَرَامِيَّة

ولكن هَذا الفَراغَ لَيس فَراغاً بَسِيطاً
إِن السمَاءَ مَكْسُوةٌ بِغُيُومٌ مُثْقَلَةٍ
باللَّوْعَةِ
وفي نَارِ هَذهِ اللَّوْعَةِ
أَخْلُق أَنَا أُغْنِيَاتِي
وعَالَم أَحْلاَمي

* * *

في انتظارك

فِي نَوْمِك
وفي حُدود أَحْلاَمِك
أَنتظِرُ وأَرقُبُ في صَمْتٍ ، مُحَيَّاك
مِثْلَ نَجْمِةِ الصباحِ التي تَبْدُو أَوَّلَ
ما تَبْدو عِندَ نافِذَتِك
وفي الطَّريقِ نفْسِها ، وقَرِيباً من شَاطىء
البحرِ
يَغْرَقُ النَّاسِكُ في تَأَمُّلاَتِهِ
مُوَلِّياً وَجْهَهَ نَحو الشَّرْق
إِن ساعات سَهْرِهِ تَمْضِي في نَشْوَةٍ
مُؤَرَّقَة
ولاَ يَنْتَظِرُ سِوى أن يَغْرَق فِيها

مَع أَوّل أَضْواءِ الصباح .
وبِعَيْنَيَّ
سوف أَشْرَب ابتِسَامَتَك الأُولى
التي تُزْهِرُ فَوْق شَفَتيكِ شِبْه المَفْتُوحَتَيْن
مِثل بُرْعُم في تَفَتُّحِهِ
هَذِه رَغْبَتي . .
أيُّها الحُزْنُ
حِينَ تَغْمُرُ القَلْبَ لَوْعَةٌ
لاَ تَقْبلُ العَزَاء
ويَأْتِي الحَارِسُ من الخَارِج
لِيَسُدَّ جَمِيعَ الأبوابِ في وَجْه العَزَاء
فَعَلَى الذِّهْنِ إذن أن يستخرجَ
سَنَدَه الوَثِيقَ من الأعْماقِ الحَمِيمَة
وَقطَراتٌ من الرَّحِيقِ تَتَدَفَّق كالدُمُوعِ
هَذا (أَنا نْدَا) يُزْهِر في (أَلأَنَا)

جاعلاً كُلَّ أَلم ِ أَلمَه ، وكَلَّ وَجَع ِ
وَجَعَه
وفي هذه الظُّلْمَةِ العَمِيقَةِ
أَجِدُ في قَلْبِي النُّورَ الذي لا يُطْفَأُ
وأَفْهَمُ أن السَّمَاءَ تَسْكُنُ دَوْماً في دَاخِلِي

* * *

النهاية

إِذَا وَجَدْتَ في قَلْبِكِ الغَايَةَ الأَسْمَى
وفي (فِينَا) كلَّ المُتَنَاقِضَات
وهيَ تَنْدَمِجُ كُلُّها في انسِجَامٍ عَذْب
وإذا كانَت شَمْسُ الغُرُوب
حِين تَحْمِلُ النَّهَار إِلى المجهولِ الغَامِضِ
تَدْعُوكَ إِلى العَوْدَة
وفي عِبَادَة الجَمَالِ
تَسْكُبُ آخرَ أَشِعَّتَها.
وإذا كَان المَسَاءُ تَحْتَ قُبَّة
اللاَّنِهَائي
يُظْهِر كَيف يتأَجَّجُ مصْبَاحُ الأَمْنِ والسَّلاَم
وإذا كان اللَّيلُ يَفْتَحُ أَبْواب صَمْتِهِ

ويَقُودُ بِلُطْفٍ إلى ضِفَّة الحَاجّ
حَيْثُ تَنْصَهِرُ جَمِيعُ الأَصوات في المُحيطِ
الضَّخْم
وإذا تَطَلَّعْت إلى عِطْر اللُّوتَس
الذِي يَطْفَحُ فَوْقَ بُحَيْرَة الفِكْر
كَهَبةٍ أَخِيرَة
كَتَحِيَّة أَخِيرَة
فَعَلَيْك إذن أن تَخْتِمَ النَّهَار
وتَدَعَ العَمَلَ يَتَوَقَّف

* * *

لَقَد تَغَذَّت حَيَاتِي مِن النَّهْر
وعَبْرَ جَدَاوِلِهِ
كَانَت عَطَايا الكَثِير من قِمَمِ الجِبَال
تَنْسَكِبُ في السُّفُوح
فَتُغْنِي حُقُولَها بِطِين النَّهْر العَظِيم

إن نَسْغَ الحياة العجيبة
يغذّي الحُقُول مِن عِدَّةَ مَنابِع
وتحيط بِحلْمه ويقظته
سيولٍ من الأغاني
تَتَدفَّق من الشَّرْق والغَرْب
إن النَّهرَ رَسُولُ الكَوْنِ
الذي يُقَرِّبُ البَعِيدَ
ويَحْمِلُ إلى بَيْتِ البَعْضِ
تَحِيَّة المَجْهُول
ذلك النهر قد نُسِج في كُلّ أَعْوَامي

* * *

الهلالُ

منطق الطفل

لو أراد الطفلُ
فسيكونُ في وِسْعِهِ أَن يُحَلِّقَ في السَّمَاءِ
فَوْراً
وبقاؤُه مَعَنا لاَ يَخْلُو مِن مَعْنَى
فَهو يُحِبُّ أَن يُرِيحَ رَأسَه عَلى صَدْرِ أُمِّه
ولا يُطِيقُ مُجَرَّدَ غِيَابِها عَن بَصرِه .
والطِّفْلُ الصَّغِير يَعْرِفُ كُلّ ضُروبِ
الكَلِمات الحَكِيمَةِ رَغْمَ أَن الذِين
يُدْرِكُون مَعْنَاها ، قِلَّةٌ نادِرَة
وَإحْجَامِهِ عَن الكَلاَم لاَ يَخْلُو مِن معْنى
والشيءُ الوَحِيدُ الذي يَرْغَبُ فِيهِ
أَن يَتَعَلَّم الْكَلِماتِ من شَفَتَيْ أُمِّه

ولِهَذا يَبْدُو بِرِيئاً سَاذجًا
والطِّفْلُ الصَّغِير يَتَوَّفرُ على كُنُوزٍ
من الذَّهَبِ واللآلِي
ومع ذَلِك ، فَقد جَاء هَذه الأَرْضَ
في هَيْئَةِ مُتَسَوِّل
ولَيْس مِن العَبَثِ
أَن يَتَّخِذ هَذا المَظْهَر
فَهذا الصَّغِيرُ العَزِيزُ المُتَسَوِّل العَارِي
كَان يَصْطَنِع العَوَز
لِكي يَطْلُب حُبَّ أُمِّهِ
والطِّفْل الصَّغِير خَالٍ مِن كُلِّ قَيْد
في بَلَدِ الهِلاَل الرَّهِيفِ
ولَيْسَ مِن العَبَثِ
أن يُدْرِكَ أَنَّه بِتَخَلِّيهِ عن حُرِّيتِهِ
يَسْتَعِيضُ عَنْها بِفَرَحٍ لاَمَحْدُود

فِي رُكْنٍ صَغِيرِ
مِن قَلْب أُمِّه
وأَعْذَبُ مِن الحُرِّيَّة
أنَ تضُمَّه أُمُّه بَيْن ذِرَاعِيها الحَانِيَتَيْن
والطِّفْلُ لاَ يَعْرِفُ البَكَاء
لأَنه يَسْكُن في وَطَنِ السَّعَادَةِ الكَامِلَة
لَيس مِن العَبَثِ
أَن يَكُون قَد اختَار سَكْبَ الدُّمُوع
حَتى يَجْذِب بابتِسَامَةَ وَجْهِه الصَّغِير
اللَّطِيفِ
قَلْبَ أُمِّه الحَنُون
ودُموعُه الصَّغِيرَة التِي تُثِيرُهَا
آلامُهُ البَسِيطة تَنْسِج لَه رِبَاطاً
من الرَّحمَة والحُبّ

البيت

كنتُ أَمْشِي وَحْدِي
في الدَّرْبِ الوَاقِعِ بين الحُقُول
وكان الغُروبُ يُبْدِي في بُخْلٍ
آخَرَ أَلْوَانَه الذَّهِبيَّة
والنَّهار يَغْطِسُ في الظُّلْمَة
والأَرض الجَرْدَاء التي حُصِدَتْ مَحَاصِيلَها
كانَت تَمْتَدُّ في صَمْت ..
وفُجْأَة ارتَفعَ في الجَوّ
صَوْت حَادّ
صَوتُ طِفْلٍ كان يسيرُ في الظُّلْمَة
تَارِكَاً خَلْفَه أَثَرَ أُغْنِيَتِه
وكانت قَرْيَتُه تَقَعُ في نِهَايَةِ الأَرْضِ غَيْر المَزْرُوعَة

بَعْد حَقْلِ قَصَبِ السُّكَر
مُخْتَبِئَةَ بين ظِلاَل المَوز وأَشْجَارِ
النَّخْلِ السَّامِقَة وجَوْز الهِند
وأَشْجَار (الحَاك) الخَضْرَاء .
وَتوقَّفْتُ برهةً قَصِيرَةً
صَامِتاً تَحت أَضْوَاء النُّجُوم
وأَمَامي
كُنْتُ أَرى الأَرْضَ المُظلَمَة
تَحْتَضِنُ بِذِرَاعَيْها عَدَدَا كَبِيراً
مِن المَسَاكِنِ العَامِرَة بالأسَرّةِ والمُهُودِ
وَقُلوبِ الأمُّهات ، وقَنَادِيل المَساءِ
ونُفُوسِ شَابَّةٍ سَعِيدَةٍ
سَعَادَة لاَ تَعْرِف هِي نَفْسُها شَيْئًا عن
قِيمَتِها بهذا الكَوْن . . .

المشهد المهمل

إيهِ ، يَا طِفْلِي
مَن الذي صَبَغ ثَوْبَكَ الصَّغِيرَ
وغَطّى أَطْرَافَكَ الغَضَّةَ بِذَلِك
الرِّدَاءِ الأحمر الصَّغِير؟
لَقد خَرَجْتَ عِند الصَّبَاح لِلَّعِبِ
فَكُنْتَ تَرْكُضُ في غَيْرِ اطمِئنَان
وَتكْبُو في بَعْض الأَحْيَان
وَلكِن مَن الذي صَبَغَ هذا الثَّوبَ الصَّغِيرَ
يَابُنَيّ . .
ما الذَي يُضْحِكُكَ
يا زَهْرَتي الصَّغِيرَة
أُمُّك تَبْتَسِمَ لك عِنْدَ عَتَبَة البَاب

وتُصَفِّقَ لك فَتَرِنَّ أَسْوِرَتُهَا
فَتَرْقُصُ أنت لِذَلِك
وقد أَمْسَكْت قَصَبَةَ البَامْبُو بِيَدِكَ
كَأَنَّكَ رَاعٍ صَغِير
ولَكِنِ ما الذي يُضْحِكُكَ
يَا زَهْرَتِي الصَّغِيرَة؟
أَيُّها المُتَسَوِّلُ . . ماذَا تَسْتَجْدِي
مُتَعَلِّقًا بِعُنُقِ أُمِّكَ بكِلتا يَدَيْك؟
أيَّها القَلْب النَّهِمُ. أَيَنْبَغِيَ عَلَيَّ
أن أَقطفَ الكَوْن كَما لَو كَان فَاكِهَةً
سَمَاوِيَّة لأُلْقِي بِهِ في يَدِكَ الوَرْدِيَّة؟
أيُّهَا المُتَسِوِّلُ . . ماذَا تَسْتَجْدِي؟
إِن الرِّيحَ تحْمِلُ في فَرَح
صَدَىَ رنَّاتَ خلاخِيلك الصَّغِيَرة
والشمْسُ تَبْتَسِمُ لِرُؤْيَةِ هِنْدَامِك

والسَّمَاءُ تَسْهَرَ عَليْكَ
حِينَ تَغْفُو بَيْن ذِرَاعَي أُمِّك
والفَجْرُ يَقْتَرِبُ من سَرِيَرِك الصَّغِير
على أَطْرَافَ قَدَمَيْهِ، لِيُقَبِّلَ
عَيْنَيكَ
إن الرِّيَح تَحْمِلُ في فَرَحٍ
رنين خَلاخِيلَكِ الصَّغِيرة
وحُورِيَّةُ الأَحْلاَم تَهْبِطُ إِلَيْك
مُحَلِّقَةً عَبْرَ السَّمَاء بِجِوَارِكَ
في قَلْب أُمّك
وذلك الذِي يَعْزِفُ مُوسِيقَاه
للنَّجومَ يقِفُ إلى نَافِذَتِكَ
بِنَايِهِ الرَّهِيف
وحُوَّرِية الأَحْلامَ تَنْزِلُ نَحوكَ
عَبْر سَمَاءِ الغُرُوب

ســارقة النــوم

مَنْ الذي سَرَقَ النّومَ من عيْنَيْ الطَّفلِ الوليدِ؟
يَجِبُ عليَّ أن أعرِفَهُ
إن الأمَّ وهي تضُمُّ الجرَّةَ إلى صَدْرِهَا
قَدْ ذَهَبَتْ لأخذِ الماءِ من القريَةِ القريبةِ
كان منْتَصِفَ النَّهَارِ
وَوَقتُ اللّعِب قد إنتَهَى
وبَجْعُ الغَدِيرِ لزِمَ الصَّمْتَ
والراعي يَرْقُدُ تحتَ ظِلّ شجَرة البَنيَانِ الكبيرةِ
ومَالِكِ الحَزينُ مُتَجَهِّمُ وساكن عِندَ الغَدِيرِ
الواقع قُربَ غابة المانْجَا
في ذلك الوَقْتِ جاءت سارقةُ النومِ
وانتَزَعَتْ النّومَ من عيْنَي الطَّفْلِ
وطــارتْ

وعِنْدَ العَوْدةِ ، وجَدْت الأمّ طِفْلَهَا
يَحْبُو في الغُرفةِ
من الذي سَرق النَّومَ من عينَي طِفْلِنا ؟
عليّ أنْ أعرِفَهَا
عليَّ أنْ أعثُرَ عَليْهَا وأقيِّدَهَا بالسَّلاسِلِ .
عليَّ أنْ أُفتَّشَ في الكَهْفِ المُظْلِمِ
بينَ الصُّخورِ والأحْجَار المُتجَهِّمةِ
حَيثُ يتألّقُ جَدْولٌ صغيرٌ
عليَّ أنْ أُفتِّشَ في الظلّ الناعِسِ
من غابَةِ البَاكولا الصّغيرةِ حيث
حيثُ الحمَامُ يَقبَعُ في زَواياهُ
وخلاخيل ترن في سِيقان الحُوريات
من صَمْتِ اللّيالي المُرَصّعةِ بالنُّجومِ
وفي المساء ، سوف أسترقُ النَّظرَ
في صمْتِ غابَةِ البامبو» حيْثُ الحُباحب
تُبدِّدُ أضواءهَا ، واسْأل كلَّ مَخلُوق
أقَابِلُهُ (أفيكم من يَدُلني على سُكنَى

سارقـة النـوم)
التي سرَقتْ النومَ من عَيْني الطّفْلَ ؟عليَّ أن أعْرِفَهَا
لو استَطعتُ القبْضَ عَلَيْهَا
لَلَقنْتُهَا درْساً هائلاً .
سأذْهَبُ إلى وكْرهَا .
وأنظُر أيْنَ تَجْمَعُ كلَّ النَّومِ المَسْروقِ
سآخُذُهُ لأعُودَ بِهِ إلى البَيتِ
سأقيِّدُ جَنَاحَيْهَا قيداً مُحكماً
وأضَعُهَا عندَ ضفَّةِ النَّهْرِ
واتْرُكُ لَهَا أن تصْطادَ السّمَكَ
بـين الأسَـل
وحينَ تنتَهي السُّوقُ في المساءِ
ويَجْلِسُ أطْفَالُ القرْيةِ
في أحْضانِ أمَّهاتهم
فإن طيورَ الليلِ سوفَ تَصمُّ
سَمْعَهَا بالتَّرديدِ
مِمَنْ ستَسرقينَ النَّوم . الآن ؟ ..

البِدايــة

مِن أيْنَ جِئتُ؟ ومِن أَيْنَ أخذتِني؟
كان الطفلُ الصَّغيرُ يَسأَلُ أُمَّهُ
فَأَجَابَتْهُ الأُمُّ باكِيَـةً
وشِبْه ضاحِكَة ، وهي تَضمُّهُ
إلى صَدْرِها.
لقد كُنْت مُختَفِياً في قلبِي
كأمنيةٍ يا حبيبي
كُنْتَ في دُمَى أَلْعَابِ طُفُولتي
وحِين كُنْت ، كُلَّ صَبَاح
أصنع من الطين صُورَة إلهِي
كُنت أيضاً أُكَوِّنُ
صُورتَك وأعيد تكوينَها
لقد كُنتَ محفُوظاً في خِزَانةِ ذَخائِر

مُقَدَّسائِنَا العائليَّة
وفي عِبادَتِنا لها ، كُنّا نَعْبُدُك
في كُلّ آمالِنَا
وفي كُلّ حُبِّنَا
وفي حَياتِي ، وحَيَاة أُمِّي
كُنتَ أنت الذي تَعِيشُ
وفي حِضَن الرُّوحِ الخَالِدة
التي تَحْفَظ أسْرَتَنَا
تَغَذَّيْتَ هُناك لأَعْوامٍ عدِيدة
وعِند شبَابِي ، وحِين فَتَّحَ
قلبِي أفْوافَهُ
كنتَ تحُومُ حوْلَه كالعِطْرِ
وأزدَهَر لُطْفُك في جَسَدِي الشَّابّ
مِثْل رَوْعَةِ السَّماء قُبَيْل الفجْرِ
أنتَ يا أول حُبٍّ سَمَاويّ
يا تَوْأم نُور الصّباحِ
هَبَطت إليْنَا رَفّافَ الجناحَيْن فوْقَ تيّار حَيَاةِ العالَم

وأخيراً نَزَلْتَ في قلبي

وحين أُلاحِظ وَجْهَكَ الصَّغِير
يَغْلِبُني السر وِيغرقني
أنت الذي تَخُصُّ الجميعَ
صِرْتَ لِي وحدي
وخَوْفاً من أفْقِدكَ
أضُمُّكَ إلى صَدْرِي
أيُّ سِحْرٍ هذا الذي قَيَّدَ
خزَائنَ الكَوْنِ بيْن ذِراعيَّ
الواهِنَتَيْنِ؟

دنيا الطفل

أُرِيدَ أَن أَشْغَلَ زَاوِيَةً هَادِئَةً
من قَلْب دُنْيَا طِفْلِي
أَعرِفُ أَن النُّجُومَ تَتَحَدَّث إِلَيْه
وأَن السَّمَاءَ تَنْحَني فِي حُنُوٍّ عَلى مُحَيَّاه
لِتُبْهِجَهُ بِأَقْواسِ قُزَحٍ وبَعْضِ الغُيُومِ العَابِثَة .
تِلك الأَشياء التِي تَتَظاهَرُ بأَنَّها بَكْمَاءُ
وتُظْهِرْ أَنَّها غَيْرُ قَادِرَةٍ عَلَى الحَرَكَة
تَأْتي كُلُّها إلى نَافِذَتِه وَتَتَمَلَّقُهُ
بِأَقاصِيصها وبِأَوْعِيَةٍ مَلأَى باللُّعَبِ البَرَّاقَة
لَكم أَتَمَنَّى أَن أَرْحَلَ عَبْر الطَّرِيقِ
التي تَخْتَرِقُ عَقْلَ الطِّفْل ،
وخَارِجَ كُلِّ الحُدودِ

حَيث الرُّسُلُ تَحْمِلُ أَنْبَاءً لا غَايَةَ لَهَا
بَينَ مَمالِك لا تَنْتَمِي إلى أي تَارِيخ
حَيْثَ يَجْعَلُ العَقْلُ مِن قَوانِينِهِ
نُسوراً يَدْفَعُهَا إلى التَّحْلِيق
وحيث الحَقِيقَةُ تُحَرِّرُ الوَقَائِعَ
مِنْ أَسْرِ العُبُودِيَّة

مـتَى ولمـاذا

حِين أحْمِلُ إلَيْكَ ، يا طِفْلي الصَّغِير
دُمًى مُتَعَدِّدَةِ الألْوانِ
فإنّي أفْهَمُ سِرَّ وُجُودِ العَدِيد من الألْوَانِ
في الغُيُومِ والمَاءِ
وأفْهَمُ لماذَا كانَت الزُّهُورُ مُلَوَّنَةً
بِطرِيقَة غرِيبَةٍ
حين أُهدِي إليك دُمًى مُتَعَدِّدةِ الألْوَانِ.
وحين أُغنِّي لِترقيصِكَ
أفْهَمُ حَقّاً لماذَا تُوجَدُ مُوسِيقَى
في أوْراقِ الشَّجَرِ
والأمْواجُ تُرْسِلُ أناشِيدَ
أَصْواتِها المَائِيَة حتّى تبْلُغ قَلْب الأرضِ المُصغية إليْها
حِين أُغَنّي لِترقيصِكَ

وحينَ أُقَدِّمُ الحَلْوى إلى يَديْكَ الشرِهَتَيْن
أَفْهَمُ لِماذا يُوجَدُ العَّسَلُ
في أكْمَامِ الزَّهْرِ
ولِماذا كَانت الفَواكِه مليئةً
بالعصِيرِ اللّذيذِ
حِين أُقَدِّمُ الحَلْوى إلى يَدَيْكَ
وحِين أُقَبِّلُكَ من أجْل أنْ تَبْتَسِمَ
يا حبيبي ، أَفْهَمُ يقِيناً
تلك البَهْجَة التِي تنثَالُ من السَّماءِ
في ضَوْءِ الفَجرِ ، وأيَّ مُتْعَةٍ
يَمْنَحُهَا نَسِيمُ الصَّيْفِ إلى كِياني الجَسَدِي
حِين أُقَبِّلُكَ من أجْل أن تبتَسِمَ

تشْهـــير

لِماذا كُلُّ هذه الدمُوع في عيْنَيْكَ
يا طفلِي الصَّغِـير؟
لكم يُبالِغُون في تأْنِيبكَ
لأَتْفَهِ الأسْبابِ ، على الدَّوامِ
لقد لَطَّخْتَ يَدَك ووَجْهَكَ
بالحِبْرِ أثْناءَ الكِتابَةِ
فلِهذا يقُولون عَنْك أنّك قَذر؟
هُراء ، أَيَجْرُأُونَ على القَوْلِ
بأَنّ البَدْر قَذِرٌ لِمُجَرّدِ
أن تَلَطَّخَ وجْهُهُ بالحِبْرِ؟
إنهم لكل تُرّهَةٍ
يا طفْلي الصَّغير
يَجِدُون سبباً للضّحْكِ مِنْكَ

على أقَلِّ الأخْطَاءِ
لقَد مزَّقْتَ ثِيَابَكَ أثْنَاء اللَّعِب
فلِهذَا يقُولون عَنْك إنّك طَائِش
هَذا هُراءٌ. ما عَسَاهُم يقُولُون
في صبَاحِ خَرِيفيّ يَبْتَسِمُ بيْن الغُيُوم
المتلبِّـــدة؟
لا تَهْتَمَّ يا طفلي بمَا يقُولون
إنهم يُعَدِّدُون أخْطاءَك في قائِمَة طوِيلةٍ
وجمِيعهُم يَعْلَم أن الحَلَويات تَرُوقُ لَك
ولهذا يُسمُّونك نهماً شرِهاً؟
هذَا هُرَاء. ماذَا عَساهُم إذنْ يقُولُون
عنَّا نحنُ الذين نُحِبُّكَ

القــــاضي

قُولوا عَنْهُ ما تَشاءونَ
فَأنا أعْرِفُ عُيوبَ طِفْلِي
لا أحِبُّهُ لأنَّهُ طيِّبٌ
ولكنني أحِبُّهُ لأنَّهُ صَغيري
كيفَ لكم أن تعْرِفُوا
مِقْدَار معزَّتِهِ
إذَا كنتمْ تزِنون مزايَاه وعُيوبَهَ ؟
حِينَ أهمُّ بِمعاقبتِهِ
يُصبِحُ قِطْعةَ مِنّي على نحْوِ أكْبَرِ
وحِينَ أبْكِيهِ ، يَبْكِي قَلْبِي مَعَهُ
أنا وحْدي لي الحقُّ في لوْمِهِ وعِقَابِهِ
لَأنه لَا يَحِقُّ أن يُسَلِّطَ العِقَابَ
إلا من أحَبَّ ..

دُمى

ما أَسْعَدَك أَيُّها الطِّفْلُ الصَّغِير
وأنت جَالِسٌ فَوْقَ التُّرابِ
تَلْعَبُ طوَالَ الصَّبَاحِ بِغُصْنٍ صَغِير
إِنِّي أَضْحَكُ مِن لَهْوِكَ هَذَا بِذَلِك
الغُصْنِ المَكْسُور
أَمَّا أَنَا فَمُسْتَغْرِقٌ استِغْرَاقاً كَامِلاً
في جَمْعِ أَرْقَامِي، سَاعَاتٍ وسَاعَات
رُبَّمَا رَمَقْتَنِي مُفَكِّراً سَاخِراً قَائِلاً في ذِهْنِك
يَا لَها من لُعْبَةٍ غَبِيَّةٍ يَضِيعُ فِيها الصَّبَاح
أيّها الطِّفْلُ، لَقد نَسِيتُ فَنَّ اللَّعِبِ
بِأَكْوَامِ الوَحَل والعِصِيّ
إِنيّ أَبْحَثُ عَن دُمىً غَالِيَةٍ

وأَجْمَعُ أَكْوَاماً من الذَّهَبِ والفِضَّة
وأنتَ تَسْتطِيعُ خَلْقَ أَلَعَابِكَ المُفْرِحَة
بِكُل مَا يَقَعُ تَحْت يَدِك
أَمّا أنا فَإِني أُبَدِّدُ وقتي وقِوَاي
في سَبِيل أَشْياء لاَ أَنْجَحُ أَبَداً
في الحُصُولِ عَلَيْهَا
وأُجْهِدُ نَفْسي وَزْوَرقِي البِدَائِيَّ الخَفِيف
لعُبُورِ بَحْر الشَّهَوات
وَأنْسَى
أَن زَوْرَقِي هَو الآخَر
مُجَرَّدُ لُعْبَة

الفلــكي

قلتُ : في الليل ، حين يكُون
القمرُ ، بدراً أسيراً بين أغْصَان
شَجَرِ الكَدَمِ ، ألاِ يكُونُ في وُسْعِ
أحَدنَا أن يُمْسِكَ بِهِ؟
ولكن أخي الأكبر سَخَرَ منّي وقال :
أيّها الطفلُ الصَّغير إنّك لغَبِيّ صغير
إن القمَرَ دَائِماً بعِيدٌ عنّا
كيف يُمْكِنُنَا أن نُمْسِكَ بِهِ؟
قلت : يالك من غَبِيّ أيها الأَخ الكَبير
أَحِين تُواجِه أمُّنَا النَّافِذَةَ
وتنظُر إلينا باسِمةً ونحنُ نَلْهُو بألعابِنَا
هَل تَقُول إنّها بَعيدةٌ؟
ولكن أخي الأكبر قال : إنّك لَغَبِيّ حَقاً

أين يُمكنُك أن تَجدَ شَبَكَةً كبيرَةً
تُمْسِكُ بِها القمَرَ؟
قلت : يُمْكِنُ أن أُمْسِكه بِيَدِي
ولكن أخي الأكبر ضَحِكَ وقَال :
إنّك أَغْبيَ طِفْلٍ عرَفْتُه
لو دنَا منّا القمرُ
لَرَأيت مِقْدارَ ضَخَامتِهِ
قلت : أيها الأخ الأكبَر أَيَّةَ حماقَاتٍ
يُعَلِّمُونَكَ في المدْرسَةِ
حِينَ تنْحَنِي أُمُّنَا لِتَقْبِيلِنَا
أيبْدُو لَك أن وَجْهَهَا كبِيرٌ؟
ولكن أَخي الأكبر كرَّر الْقوْلَ:
إنّك حَقًّا لَطِفْلٌ غَبِيّ...

غيوم وأمواج

يا أُمَّاه

إن سُكَان الغُيُومِ يَدْعُونَني للذَّهَابِ مَعَهم

سنلعبُ ونلهو من الصباحِ حتّى المَسَاء

سَنَلْهُو مع الفَجرِ الذَّهبي

وَنلهو مع القَمَرِ الفِضّي

وسأَلتُ

كيف يمكنني الصُّعُودُ للَّعِبِ معكم؟

تَعَال حَيْثُ نِهَايَةُ الأَرْض

وابسطْ يَدَيْكَ نَحْو السَّمَاء

وسيكُوُن في وُسْعِكَ الصُّعودُ إلى الغُيُوم .

إن أمّي فِي انتِظَاري في البَيْت

كَيف يُمْكِنُني تَرْكُها والحُضُورُ إلَيكم .
وحينئذ ضحكوا مني وَ ولَوا مُسْرِعين
يا أمّاه ، إني أعرف لعبةً أَجْمَل
أكونُ فِيها أَنَا الغُيُومَ
وَتكُونِين أَنْتِ القَمَرَ
وسَأغَطِّيكِ بِكُلّ يَدَيّ
وسَقفُنَا سيكُون السَّماء
أولئك الذِين يَسْكُنُون الأمْوَاج
يدعُونَني للذِّهاب مَعَهم
سَنَلعب من الصّبّاحِ حَتى المَسَاء
وسَنَرْحَلُ دون أن نَدرِي إلى أين
وأسأل
كيف يمكنني أن أنضَمّ إليكم وألعَب معكم
تَعال إلى حَافَّة الشَّاطِيء
والبث هَناك بِعَيْنَيْن مُغْمَضَتَيْن

وستَحْمِلُك الأَمْوَاج

إن أُمي تُصِرّ على وُجُودِي في البَيْت مَساءً

فَكيف يُمْكِنُنِي تَرْكُها والحُضُورُ إليكم

فابتَسَمُوا، وَرَقصُوا، وانْصَرفُوا عني

ولكني أَعْرِفُ لُعْبَةً أَحْسَن

أَن أكون أنا الأَمْوَاجَ

وأنتِ الشّاطئ الغَرِيبَ

وأَجْمَع نَفْسي في انْدِفَاعَةٍ طَوِيلَة

ثم أَنْكَسِرُ قطعاً فَوقَ نَهْدِكِ

ضَاحِكاً

ولا أَحَد في الكَوْنِ

يَدْرِي مَكانَكَ وَمكَانِي

* * *

زهـــرة الشـامبـا

لِنَفْرِض ، على سَبيلِ العَبَثِ ، أنّي أصيرُ
زهْرة شَامْبا
تَنْمُو فَوقَ الغُصْنِ ، وتَهتزُّ ضاحِكَةً للريحِ
وتَرْقُصَ فَوقَ الأَورَاقِ النَّضيرة الغَضّة
فهل ستعْرفينَني يا أمَّاهُ ؟
وتناديني : أيها الطَّفلُ ، أَيْنَ أنْتَ؟
وأنا أضْحَكُ من هَذا النِّداء بَيْني وبَيْنَ نَفْسي
وأظلُّ مُلَازماً الصَّمتَ
وافتحُ أفواف زَهْرَتي بِسُرعةٍ
وألاحِظُكِ وأنْتَ مُنْصَرِفةٌ إلى العمل .
وعِنْدَما تَفْرغين من حَمَّامِك
وبِشَعْرِكَ المُبَلَّلِ المُنْسَرح فوق الكَتفَينِ
تمُرين تحتَ ظلّ شَجَرة الشَّامْبا

متوجهة الى الساحة الصَغيرة
حيْثُ تُرَتلينَ صَلَواتك
مُلاحِظَة عِطر الزَّهرَة
دُونَ أنْ تَعْرِفي أنّه يَضوع مِنّي
وحينَ تَجْلِسينَ بَعْد الغَدَاءِ إلى النَّافذَةِ
تقْرأئين (الرِّمَايَات)
والشجَرةُ تُلْقِي ظِلَالَهَا فوقَ غدَائِرِكَ
وألْقي أنا بظِلّيَّ الصّغيرَ فَوقَ حِضْنِكِ
وَعَلى الصَّفْحَةِ الّتِي تقْرأئينها من الكتاب
فَهَلْ سَتتصَوَّرين أنه الظلّ الضَّئيلُ
لطِفْلك الصغير؟
وفي المساء ، حين تقصدين الحظيرةَ
وتَحْملين بيدك المِصْبَاحُ المضيء
سأقفزُ فجْأة إلى الأرض
وأصبُحُ طِفْلكَ من جديد
وأطلبُ منْكَ أن تقصيَ لي قِصَّةً

وتَسألين أين كنْتُ أيها الطائشُ الصّغيرُ؟
أفضّلُ أن لا أُخْبرك بشيء يا أمّاهُ
فَمَا أكثر ما سَوفَ نتحدّثُ عن هذا وذاك...

البلـد المسحـــور

لو عرفَ النَّاسُ مكانَ قصْري
لتلاشَى في الفضـاءِ
فَجُدرَانُه من فضَّـــةٍ
وسقُوفُه من ذَهَبٍ
وتقيم الملكةُ في قصر له سَبْع أفنيةٍ .
وتَتحلَّى بجَوْهرَةٍ تُساوي قِيمتُها
سَبعَ ممَالك .
إني أُخبِرُكَ هَمْساً يا أُمَّاه ،
بِموْقع قَصْري الملَكي ؟
إنَّهُ في زاويَةٍ من سَطحِ بَيْتِنَا
حيث زَهرية التُّولْسي .
والأَميرة تَضَّجعُ نَائمةً
فوق الشاطىء القصِي للبِحَار السَّبْعة

الّتي لا يمُمكِنُ لأَحَد أن يَمْخُرَهَا
ولا أحد في الكون يمكِنُه أن يَعثُر عليْهَا سِواي .
لَدَيها أسورةُ وأقراطٌ من لآلِيء
وغَدائرها تَنْسَابُ حتّى قَدَمَيْهَا
وهي تَستيقظُ بمُجرّدِ أن أَلْمسَها
بِعَصَايَا السِّحْرية
وتتنَاثُر الجَوَاهِر من فمها حينَ تَبْتَسِمُ لي
إنّي أفْضي إليك همساً يا أماه بمكَانِها
إنَّهَا في زاويةٍ من سَطْحِ بَيْتِنَا
حَيثُ زهْرية التولْسي
لِتَصْعدي إلى هذا السَّطح
حينَ تَحينُ سَاعةُ ذهَابِكَ إلى النّهْرِ
للاستحمَامِ
فَستَجدِيني جالساً في زاويةٍ مِنْهُ
حَيثُ تَتَلاشَى ظِلالُ الجُدْرانِ
والهِرَّةُ وَحْدَهَا هي التي أسْمَحُ لَهَا بِمُصاحبَتِي

لأنَّهَا تَعْرِفُ أيْنَ يَعيشُ
حَلّاقُ الخُرافَة
إني أَخْبُرك يَا أمَّاهُ ، أين يَعيشُ
حلَّاقُ الخُرافَة
في زاويةٍ من سَطْحِ بَيْتِنَا ،
حيثُ زَهْرِيَّةُ التُّولسي .

أرض المنفــى

يا أُمَّــاه
لقد شَحُبَ النُّور في السَّماء
ولا أعُرِف ما هي السَّاعَة
ولقد خلَت لُعْبَتي من المُتعَةِ
فجِئْتُ إليك
إنه السَّبت ، يَوْمُ عِيدِنَا
يا أماه ، كُفِّي عن العَمَل
واجْلِسي إلى النافِذَة
وقُصِّي عليَّ أين تُوجدُ صَحْراءُ تِبِنْتَار
إن ظِلَّ المَطَر
قد غـطَّى النَّهَار كُلَّه
والبرُق يُمزِّقُ السَّماءَ بمخَالِبه الوَحْشِيَّةِ
وعندَمَا تُدَمْدِمُ الغُيُومُ وترْعدُ

فإنَّه يَرُوقُ لي الارتِجَافُ خَوْفاً
والتعلُّقُ بِصَدْرِكِ بَقُوَّةٍ
وعندما يسْقط المَطَرُ بغزَارةٍ
فوْق أورَاق البَامبو
وترْتجِفُ النَّوافِذُ وترتَعِشُ
تحتَ عَصْفِ الرِّيح
يَرُوق لي أن أجْلِس إليك ، والبقاء مَعَكِ
وحْدِي ، وأُصْغِي إليك تتِحدَّثين
عن صحْراء تَبِنْتَار الخُرافِيَّة
تُرى أَين هَي يا أُمَّاه
عَلى شَواطىء أيِّ بَحْرٍ؟
وفي سُفُوحِ أيّ الهِضابِ؟
وفي ممَالِكِ أَيِّ مَلِكٍ؟
هُنِاكَ لا تُوجَدُ الأَسْيِجَةُ
لِتَمييز الحُقُول
وليس هُناك درْبٌ يَعُودُ السُّكّان عَبْره

إلى قُراهم في المَسَاءِ
ولا نَساء يَجْمَعْنَ الحَطَب من الغَاب
ويحْمِلْنَهُ إلى السُّوق
بُقَعٌ من العُشُبِ الأَصْفَرِ المُتناثِرَة فَوْقَ الرَّمْلِ
وَشَجَرَةٌ وَحِيدَةٌ يُعَشِّشُ فيها زَوْجَان
من الطيُورِ الحَكِيمةِ
هُنَاك تَمْتَدُّ صحْرَاء تَبْتَار
في وُسعِي أن أتَخيَّلَ :
في يوْمٍ غَائِمٍ مثْل هَذا اليَوْم
كان ابنُ المَلك يَعْبُرُ
دَرْباً رمَادِياً ، مُمْتَطِياً صَهْوَة جَوَادِه
يَجْتازُ به الصَّحْراء وَحْدَه
بَحثاً عَن الأمــيرَة
الأسيرة في قَصْرِ المَارِدِ العِمْلاق
فِيمَا وراء البَحْرِ المَعْرُوفِ
وعندما تَهبُطُ ظُلمَةُ المَطَرِ

من السَّماء البَعِيدةِ
وَيجْرحُ البَرْقُ فَجْأَةً السَّماء
كَوَخْزَةِ الألم الحَادّ الخَاطِف
أتُرَاهُ يُفكِّرُ في أُمِّهِ البائِسَة
الّتي هَجَرَهَا المَلِك ، وحَكَمَ عَلَيْهَا
بِتَنْظِيف الحظِيرَة ، بيْنَمَا ابنها
يَجُوبُ الصَّحْراء بِجوادِهِ
انظُرِي يا أُمَّاه ، إنّها الظلمَةَ تقْرِيباً
قَبْلَ أنْ يَهْبط المساءُ
ليسَ هُناكَ مُسَافِرٌ
في طَرِيق القَرْيَة
وقد عَادَ الرَّاعِي الصَّغِيرُ إلى بيْتِهِ
من المرْعَى ، مُبَكِّراً
والفَلاحُونَ تَرَكُوا الحُقُولَ
وجَلَسُوا أمام أكْوَاخِهِم
يرْقُبُون الغُيُوم المُتَوَعِّدة

لَقد تَرَكْتُ كُلَّ كُتُبِي فَوْقَ الرَفّ
فَلا تطْلبِي مِنِّي يا أمَّاه ، أن أُؤدّي دُرُوسِي الآن
فحِين أكبَر وأصِير مثْل أبِي
فإنّي سَوف أتَعَلَّم ما ينْبَغي تَعلُّمُه
ولكن اليَوْمْ
قُصِّي عَلَيّ يا أُمَّاه
أيْن تُوجَدُ صَحْرَاءُ تبِنْتَار

اليــوم المطيــر

غُيومٌ كثيفَةٌ تتجَمَّعُ بسُرعَةٍ
عند طَرَفِ الغَابَة المُظْلِم
يَا طفْلي ، لا تَخْرُجْ، لا تَخْرُجْ
إن أَشْجارَ النَّخِيل المُصْطفَّةَ
على ضِفَّة البُحَيْرَةِ
تَهُزُ جَرِيدَها في وَجْهِ السَّمَاءِ المُكْفَهِرَّةِ
وَالغِربانُ بِأَجْنِحَتِها المُلَطَّخَةِ بالوَحَلِ
تُلازِمُ الصَّمْت فَوْقَ أشْجَار تَمَر الهِنْدِ
والضِفَّةُ الشَّرقيَّة من النَّهْرِ
قَدْ دَاهمتْها ظُلْمَةُ داجِيَةٌ
والبَقرة المَشْدُودَةُ إلى الوَتَدِ الجَّافِ
تَخُورُ خُوارا عالِيا. فانْتَظِرْني
هُنا حتى أَقُودَهَا إلى الحَظيرَةِ

إن الناسَ يتَجمَّعُون في الحُقُولِ المغمورَةِ بالمِيَاهِ
لِيَقْبضُوا بأيْديهِمْ على الأسْمَاكِ
الخَارجَة مِن الغُدْرَان الطَّافِحَةِ
ومِياه المَطَر تَجْرِي في جَدَاول
عَبْر الدُّروب الضَيِّقَةِ
وَتخْتَفِي كَطِفْلٍ مَرِحٍ يُعابِثُ أُمَّهُ
بِمُرَاوَغتِه واخْتفَائِه.
اِصْغ، إن أَحَدَا يَهتِفُ بصَاحِب
القَارِب عنْد مَعَابِر النَّهْر
يَا طِفْلِي، إنَّ النُّورَ يَرْبَدُّ
وطرِيق العُبُورِ مَسْدُودةُ في وجْهِ القَارِبِ
إنَّهُ لَيَبْدُوا أَنَّ السَّمَاء تَرْكُض في جُمُوحٍ
فَوْقَ المَطر المُتَساقِطَة بِعُنْفِ
ومِيَاهُ النَّهْر تَهْدُرُ بِصَبْر نافِذٍ
والنِّسَاءُ يُسْرِعْنَ الخَطْوَ
عائدات مِن نَهْر الكِنْج، بِجَرارِهِنَّ المَلْأى
علَيْنا إعْدادَ الفوانِيسِ

فلا تَخرِج يا طفْلي، لا تَخْرج
إنَّ طريق السُّوقِ مَهْجُورَةٌ
ودَرْبُ النَّهْرِ زَلِقَةٌ
والرِّيح تَنْفَلِتُ
بين أغْصان البَامْبو وتَعْوي
مثل حَيَوان وَحْشيّ
وَقَعَ في الشَّبكَةِ

زوارق الورق

كُلَّ يَوْمٍ
أُعَوِّمُ زَوارِقي الوَرَقِيَة
وَاحِدة بَعْد أُخْرَى
في مَجْرَى النَّهر
وأَكْتُب فَوْقَها اسْمِي
وَاسْمَ قَرْيَتي
بأحْرُفٍ سَوْدَاء كَبيرَة
والأَمَلُ يَحْدُوني بِأَنْ يَعْثُرَ عَلَيها
بَعْضُ النَّاس
في بَعْضِ البُلْدَانِ الغَرِيبَة
فَيَعْرِفُ مَن أَنَا

إِني أُوسِقَ زوارِقي
بِزُهور الشبوبي التي أَقتطِفُها من حَدِيقَتِنا
وَيَحْدُوني الأَمَل
أَنْ تُنْقَلَ زُهُور الصَّبَاحِ هَذِه
إلىَ بَلد النَّوْم
إنِّي أَدْفَع بِزَوارِقِي الوَرَقِيّة
وأَرْقُبُ في السَّمَاء سُحُباً
تَنْشُرُ أَشرِعَتَها البَيْضَاء
لاَ أَدْرِي أَيَّ رَفِيقٍ مِن رُفَقَاء أَلْعَابِي
هُنَاكَ في السَّماء
يَبْعَثُ بِها في الجَّوِ لِتُنَافِسَ زَوارِقي الصَّغِيرَة
وحينَ يَهْبِطُ اللَّيْلُ
أَدْفِنَ رَأسِي بَيْن ذِرَاعَيَّ
وأَحْلُم بِأَنَ زَوارِقي الوَرَقِيّة

تَمْخُرُ تَحْتَ النُّجُوم
وَتَرْحَلُ فَوْقَها جِنِّيَاتُ النَّوْم
بأَوْساقِها من السِّلاَلِ المَلْأَى بالأَحْلاَم

البحّــــار

زَوْرَقَ الْمَلاَّحِ مَادْ هُوَ
راسٍ فِي مَرْفَإٍ رَاجِيكُوني
وَهوَ مُحَمَّل بالقِنبِ . دُونَ جَدْوَى
فَقَدْ كانَ القَارِبَ راسِياً مَكَانَهُ مُنْذُ أمَدٍ بَعيدٍ
لَوْ أجَّرَ لِي زَوْرَقَهُ
لَجَهَّزْتهُ بالْمجَاديف
والأشْرِعَةِ ، خَمْسة ، سِتَّة أو سَبْعَة
ولن تكونَ وِجْهَتِي صَوْبَ الأَسْواقِ الْمُعتادَةِ
فإني أَرْغَبُ في أن أجْتازَ الْبِحارَ السَّبْعة
والأنْهَارَ الثلاثة عشر ، من البَلَدِ المَسْحُورِ
أمَّاهُ ، لا ... لَا تَبْكِ
لَا تَبْكِ من أجْلِي في الخَفَاءِ
فَلَنْ أَرْحَلْ مِثل (راما شاندرا)

إلي الغاب ، لأعودَ بعد أربعة عَشر عاماً
سَأكونُ أميرَ الأسْطورةِ
وأملأُ زورقي بِكَلِّ مَا أريدُ
وسأحْمِلُ مَعي صَديقِي آشو
ونَجتازُ البِحار السَّبْعَة
والأنْهارَ الثلاثة عشر من البَلَدِ المَسْحُورِ
سَنُبْحِرُ عِنْدَ الفَجْرِ
وحينَ تَسْتحِمين في الغدير في مُنتَصِفِ النَّهارِ
سَنكونُ في بَلدٍ ملك أجْنَبي
وَسَنَعْبُرُ وادي (تيربورني)
ونَتْركَ . وراءنا صَحْراءَ تبنتَار
وحين نعُودُ
يكون اللَّيلُ قد خيَّمَ
وَسأقُصُّ عَلَيْكِ
كُلَّ مَا رأيْنَاهُ
ونَحن نَجْتَازَ البِحَارَ .
والأنْهَارَ الثلاثة عشر...

الضفـة الأخـرى

في نَفْسي رغْبَةٌ للذهاب إلى هُناك
حَيْثُ ضِفَّة النَّهْرِ الأُخْرَى
حَيْثُ يَرْسُو ذلِك الصفُّ من القَوارِبِ
المَشْدُودِ إلى أعْوادِ البامبو
حَيثُ الرِّجَالُ يخْرُجُون صَبَاحاً بِزَوارِقِهم
وقد حملُوا مَحارِيثَهم فوْقَ أكتافِهِم
للعَمل بحُقُولِهم البَعِيدةِ
وحَيْثُ الرعاةُ يَدْفعُونَ قُطْعَانَ البَقَر
لِخَوْضِ المِيَاهِ نحو المراعي الخَضْرَاء
الممتَدّةِ على طُول ضِفّة النَّهر
وَيَعُودُون مَساءً
تَارِكِين الذئَابَ تعوِي في الجَزِيرة المغطّاةِ
بأشجَارِ الأسَلِ

يا أُمَّاه ، حين أَكْبرُ
أريدُ أَن أَكُون مَلاح مِعْبَرٍ
إذا كان هذا لا يُثِيرُ ضِيقكِ
يَقُولون أن هُناكَ غُدْرَاناً غرِيبَةً
مُخْتَفِيةً خَلْفَ الهَضَبَة
حيثُ أسْراب من البَطِّ الوَحْشَي
تأْتي عند نِهايَة المَطَر
وأَشْجَارُ الأسَلِ تنْمُو كثيفَة
حَول فَسائِل القَصَب حَيْثُ الطُّيور المائيَّةُ
تَضَعُ بيْضَهَا
وحَيْثُ يُخَلِّفُ الدجَاجُ
بِذُيولِهِ المُرْتَعِشةِ
أثار بَرَاثِنِه الصَّغِيرَة
فَوق الوَحَلِ النَّاعِمِ النَّظِيفِ
وحيْثُ ، عِنْدَ المَسَاءِ تَدْعُو الأعْشَابُ العالِيةُ
المُتزيّنةُ بِزُهُورها البَيْضاءِ
شُعَاع الفَجْر

ليسْتَرِيح فَوق تموُّجاتِهَا.
يا أُمّاه ، حين أكبُرُ أرِيدُ أن أكون مَلاح مِعْبَرِ
إذا كان هذا لا يُضايِقُكِ
سَأجْتَازُ النَّهْرَ العَظِيمَ
جِيئـةً وذَهَابـاً
من ضِفّة إلى أُخْرى
وكُلُّ الصِّبْيَان والصَّبايَا
بالقَرْيَة ينظُرُون إلَيَّ بإعْجابٍ
حِينَ يَغْتَسِلُون في النَّهْرِ
وحين تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ إلى كبدِ السَّماءِ
والصَّبَاحُ يَنْتَقِلُ إلى الضُّحَى
سأهْرَعُ إليك هاتِفاً
يا أمّاهُ إنّي جائِعٌ
سَأعُود حِين ينتهِي النَّهَارُ
ويُخَيِّمُ الظِلُّ بَيْنَ الأشْجَارِ
لَن أبْـعَدَ عنْكِ
ولن أرْحَلَ للْعَمَلِ بِالمدِينَةِ مِثْلَ أَبِي

يا أمّاه حين أكبُرُ أُرِيدُ أن أكُون مَلاّح مِعْبَرٍ
إذَا كان هَذَا لا يُضايُقُكِ

مدرسة الزهور

حِينَ تَتَوَجَّعُ الغُيومُ العَاصِفةُ
القَاتِمَةُ ، في السّماءِ
وتَهْطُلُ أمطَارُ يُونيو بغَزارةٍ
فإن ريحَ الشّرْقِ النّديَّةَ
تَزْحَفُ فَوقَ الأرْضِ الجَرْداءِ
لِتعزفَ أبْواقَهَا بين قَصَبِ
شجر البَامبُو
حينئذٍ ، تظْهرُ فَجْأة ، ومن حَيْثُ
لَا يدْري أحدٌ ، حُشودٌ من الزّهورِ
وتأْخُذُ في الرَّقْصِ بِبَهْجةٍ مَجْنونةٍ
فَوقَ الأَرضِ النّدية.
أُمّاهُ . إني أَعْتَقِدُ حقًّا أن الزّهورَ
تَذْهبُ ، إلى مدْرَسة في جَوفِ الأَرْضِ

وتَتَلَقّى دُروسَهَا وراءَ أبْوابٍ مُقْفلةٍ
وإذا أرادت الخُروجَ إلى اللّعِب
قَبْلَ الوَقتِ المُحدّد ، فإن المُعَلّمَ
يُعَاقِبُهَا ويُؤنبها
وهي تستَمْتِعُ بِعُطْلَتِهَا في فَصلِ الأمْطار.
وفي الغَابةِ حين تتَناطَحُ الأغْصَانُ
مع الريح الوَحْشيَّةِ
والأوْرَاقُ تُرسِلُ حَفِيفُهَا.
وغيومُ الرَّعْدِ تَضْرِبُ أيْديها العِمْلاقة
فإن صغارَ الزُّهور تُسْرِعُ
إلى الخُروجِ بأثْواب حمْراء وصفْراءَ وبيْضاءَ
أتدرين يَا أمَّاهُ، أن بَيتَهَا في السّماءِ ، حيث توجَدْ النُّجُومُ
ألا تَرَيْنَ قَلَقَهَا البادي للذّهَابِ
إلى هُنَاكَ ، في الأعالي؟
إنك لا تعْرفينَ سَبَبَ هذه العَجَلة
إني أسْتطيعُ أن أُخَمِّن لِمَنْ تَمُدُّ

أَذرعـهَا ؟
إن لَهَا أيْضاً أماً مثل أمي

التاجر

تَصَوَّرِي يَا أُمَّاه

أنّ عَلَيْكِ البَقَاء في البَيْت

وإنّه يَنْبَغِي لِي السَّفَرُ إلى بُلدان غَرِيبة

وتَصَوَّرِي أَن سَفِينَتي جَاهِزَةٌ بالمَرْفَأَ

فَكِّري جَيِّداً ، يَا أُمَّاه ، قَبْل أَن تُفْضِي

بِمَا تُرِيدِين أَن أَحْمِلَه إِليك عند عودتي

أُمَّاه ، إِنَّك تُرِيدِينَ أَكْواماً كَثِيرةً من الذهَب

هُنَاك عِنْد ضِفَافِ الآنهار المُذَهَّبَة

تَمْتَلِئ الحُقُولُ بالحَصَاد الذَّهَبِي الصَّافِي

وفي ظِلِ الغَابَةِ فإن أَزْهَار الشَامْبَا

المُذَهَّبَة تَتَسَاقَطُ فَوْقَ الأَرْض

سَأَجْمَعُها كُلَّها لَكِ في مِئَات السِّلاَل
أمَّاه، أَتَرْغَبِين في اللآلىء الكَبِيرة
التي تُشْبِهُ قَطَرات أَمْطَارِ الخَرِيف؟
سَأَذْهَب إِلى جَزِيرَة اللآلىء
فَهُنَاكَ، وفي نُورِ الصَّبَاح البَاكِر
تَرْتَجِفُ اللآلىء فَوْقَ زُهُور المَرَاعي
وَبعْضُ اللآلىء البَرَّاقَةِ تَسْقُطُ فَوْقَ العُشب
وَبعْضُها يَتَنَاثَرُ فَوْقَ الرِّمَال
في زَبَد أَمْواجِ البَحْر.
أَما أخي فَسَيكُون لَه
حِصَانَان مُجَنَّحَان للطَّيَران
بَيْن الغُيُوم
أَما أَبِي فَسَأَحْمِل إليه قَلماً سِحْرِياً
يَكْتُب مِن تِلْقَاء ذَاتِه

وإليكِ يا أُمَّاه سَوْفَ أَحْمِل عُلْبَة مُجَوْهَرات
وفِيها الجَوْهَرةُ التي تُسَاوِي سَبْعَ
مَمَالِك

مشاركة

لو كنتُ مجردَ جرْوٍ صَغِير
ولست ابنَك
يا أُمَّاه
هل تنهرينَني وتَرْفُضِين أن آكلَ
في صِحْنِك الصَّغيرِ؟
وتطردينني قَائِلَةً:
لِتَبْعُدْ، أيها الجرْوُ الصَّغيرِ؟
إذا فعلتِ ذَلِك يَا أُمَّاه
فَلن أَستَجِيب إِليك
حِين تدعينني
ولن أسمحَ لَكِ أبداً
بأن تُقدِّمي إِليّ أَيَّ طعام

لو كنت بَبَغَاءْ أَخْضَرَ اللَّون
ولست ابنَكِ
يا أمَّاه العزيزة
فهل تُقَيِّدِينَنِي
خَوْفاً مِن أن أَطِير بَعِيداً
وتُهدِدِّيَنني بِأصْبعِكِ
قَائلة : أيها الطّائر الجَحُود
عَضَّ قَيْدَك لَيْلاً ونَهَاراً
إِذن ، لِتَذْهبي بَعِيداً يا أمَّاه
إني أُرِيد أَن أَخْتَفِي في الغَابَاتِ
ولَن أَسْمَح لَكِ أبداً
بأَن تَضُميني بَيْنَ ذِرَاعَيْك

* * *

متفـــوق

يا أمَّاهُ ، إن ابنَتَكَ غَبِيَّةٌ صَغيرةٌ
وَعلى دَرَجة بالِغةٍ من السَّذاجة الطُّفوليَّة
فَهيَ لَا تعرِف الفَرْقَ
بيْنَ النُّجُوم ، وأضْواءِ الشَّوارِعِ
فَإذا تَظَاهرنا بأَكْلِ الحَصَى عند اللّعِبِ
فَإنها تَظُنِّ حقًّا أنّها تُؤكَلُ
وتُحَاوِلُ أن تَدْفَعَ بِها إلى فَمِها
وإذا فَتَحْت أَمَامها كِتاباً
وَطَلَبْتَ منْها أن تَقْرأ حُرُوفَ الهِجاءِ
فَإنَّهَا تُمزِّقُ الصَّفَحَاتِ بِيَدَيْهَا
وتَصِيحُ فَرَحاً بِلَا مُبَرِّرٍ
وهَذِهِ هي الطّريقةُ الّتي تَقوم بها طِفلَتُكِ
في تَلقِّي دُروسها في القِراءةِ

فإذا صَرَخْتُ فِيها وقُلتُ لَها شِرِّيرةٌ
فإنَّهَا تَضْحَكُ ، وتظُنُّهَا فُكاهةً
وكُلُّنَا نَعْرِفُ أن أبي غائِب عنَّا
فإذَا هَتَفَتُ (يابا) لَعِباً ولَهْواً
فَإنَّها تَلتفِتُ حَوْلَهَا مُتَأثِّرةً
وتَظُنُّ أن أباها واقفٌ بالقُربِ مِنْهَا
وحين أُلقِّن حَمِير الغسَّال
المُحَمَّلة بالملابسِ ، دُرُوساً
وأقول لها إني أَنا المُعلِّمُ
فَإنَّهَا تَصْرَخُ بلا سَببٍ
وتَدعوني دادا
أن إبْنتكِ تُريد أنْ تُمْسِك القَمَرَ
وهي سَخيفةٌ وتدعو غانِس ، غنُّوس
أمَّاهُ إن ابنَتُكِ غَبيةٌ صَغيرةٌ .
وَ عَلَى دَرَجةٍ كَبيرةٍ من سَذاجة الطُّفولةِ .

الرجـل الصغـير الكبـير

أنا صغيرٌ لأنني طِفْلٌ
ولكِنّي سأصيرُ كبيراً مِثْلَ أبي
وسَيأتي مُعَلّمي ليقُولَ لي .
لقد جِئتُ متأخراً ، خُذْ كُتُبَكَ وانصَرِفْ
فَأقُولُ له ألا تدري بأنني كبيرٌ
وأنه لا يجِبُ عليَّ بَعْدَ اليومِ أن أتلَقَّى الدّروسَ
وسَيقولُ مُعَلّمي في دهْشةٍ واستغرابٍ
يُمْكنُكَ أن تَترُكَ كُتبَكَ إذا أرَدْتَ
لأنّك صِرْتَ كبيراً
وسأرتَدي ملابِسي وأتوَجَّهُ إلى السوقِ
حيثُ أكثرِ الأمكِنَةِ إزدحاماً بالنّاسِ
وسيُسرِعُ الخَالُ ليقُولَ لي :
سَتضيعُ ، يا طِفْلي ،دعَني أُمْسِكُ بيَدكَ

وسَأجيبهُ ، ألا تَرى يا خَال
أنّني صِرْتُ كبيراً مثْل أَبي
فعَليّ إذَنْ أن أَذْهَب إلى السّوقِ وَحْدي
وسَيَقولُ الخَالُ وهوَ يُحدّقُ فيَّ
يُمْكِنُكَ أن تَذْهبَ حَيثُ شئتَ
لأنكَ صِرْتَ كبيراً
وستخرجُ أمي من حمّامِها
حينَ أقُدِّمُ إلى المُربيّة نُقُوداً
لأنّي أعْرِفُ كيفَ أفتحُ حُصَّالةَ النُّقودِ
بمفتـاحي
وستقول أُمِّي عنْدَئذٍ
ماذَا تَفْعَلُ أيُّهَا الشَّيْطانُ الصّغيرُ
وأقولُ لها (أيا أمّاه ، لتعرفي
أنني صِرْتُ كبيراً مَثْلَ والدِي
وعَليَّ أن أقَدِّمَ النُّقودَ الفِضيَّةِ
إلى المُربيّةِ

وستقُولُ أمي لِنفسِهَا .
يُمْكِنُكَ أن تُعْطي نُقوداً لِمَنْ تشَاءُ
لأنَّكَ صِرْتَ كبيراً
وفي إجازاتِ أكتوبر
سيأتي والدي إلى البَيتِ
ويظُنّ أنّني مَازلتُ صغيراً
وسَيَحْمِلُ أبي من المدينة
أحذِيةٍ صغيرةِ ومَلابِسَ حَريريّةَ صغيرةً
فَأَقُول لَهُ (يَا أبِي
إعطِهَا لأخي الأكْبر
لأنّي صِرْتُ كبيراً مثْلَكَ
وسَيُفكرّ والدِي في الأَمْرِ ثُمّ يقُولُ :
يُمْكِنُكَ أن تشتَريَ ملابِسَكَ
إذَاشِئتَ ، لأنَّكَ صِرْتَ
كبـيراً .

الساعة الثانية عشرة

أُمّاهُ ، أُرِيد أن أكُفَّ عَن الدِّراسَة
لقد دَرَست طِوَال الصبَاح
إنّك تَقُولِين إنّهَا الثانية عشرة
فَلِنفرِض أن الوَقْتَ غَيْرُ مُتَأَخَر
أتَظُنُّ أنَّهُ المَسَاء ، فِيمَا هي
الثانية عشرة
يمْكِنُني أن أتَصَوَّر بيُسْرِ
أن الشَّمسَ قد بلَغَت
حافَّة حَقْلِ الأُرْز
وأن صائِدَة السَّمَكِ العَجُوز
تَجْمَعُ العُشُبَ لِطَبْخِ العشَاءِ
قُرْبَ ضِفَّة الغَدير
يُمكِنُني أن أُغْمِضَ عيْنَي

وأُفَكِّرُ في أن الظلال قَد أَصْبَحَت
تتكاثَفُ تَحْتَ شَجَرِ المَدَر
ومِياهُ الغَدير
تبْدُو نُقْطَةً سَوْدَاء لامِعَةً
لَو أمْكَن للثانية عشرة أن تأْتي
لَيْلاً..
لماذا لا يَأتي الليل في الثانية عشرة

حِـرفـة الكاتـب

تقُولِين أنَّ أَبِي يكتُبُ أكْدَاساً من الكُتُبِ
ولكنّي لا أعْرِفُ ما يكتُبه
لقد قُلْتُ لَكِ طِوَال المسَاءِ
ولكن هَل أمْكَنَكِ حَقاً أن تفْهَمي شَيْئاً
مِمَّا يريدُ أن يَقُولَ؟
يالَها من قَصص رائِعة تِلك التي تَرْوِينَها
يأُمَّــاه
لِماذَا لا يَكْتُبُ أبِي مِثلهَا
ألمْ يسْمَع أبَداً من أُمِّه قِصَص العَمَالِقة
والحُوريات والأمِيرات؟
أم نَسيَها كُلَّها؟
غالباً ، حين يتأخَّر عنِ الأستِحْمَام
أرَاكِ تُنَادِينه مِئَة مرَّة

وتَظَلين في انتظَارِه ، وتُمسِكِين
بِأوْعِيَة المَاء السَّاخِنِ
ولكنَّه يَستَمِرّ في الكِتَابَة
ثُمّ يَنْسىَ الاستِحْمَام

ســاعي البريــد الشريــر

لِمَاذَا تَجْلسينَ فوقَ البِلاط
هَادئةً ، ساكِتةً ، يا أمَّاه؟
والمَطرُ ينفذُ من النافذة المفتُوحة
فَيَبَلِّلُكِ ، دون أنْ تكترِثي بذَلِك
ألا تسمعِين دَقاتِ السَّاعة الرابِعَة؟
إنّها الساعة التي يعودُ فيها أخي من المَدْرَسة
ما الذي حدَث لكِ. ولمَاذا أنْتِ
غريبَةُ الأطْـوارِ
ألَمْ يكتُبْ لَكَ أبِي اليوْم رسَالَة؟
لقد رَأيت سَاعي البَريد يحْمِلُ
في حقيبَتِهِ رسَائِلَ لأغْلَب سُكَّان الْبلْدَة
ولَكن رسَائلَ أبِي يبْدُو أنَّه يحْتَفِظ بهَا لنفْسِه
إنِّي لعَلَى يقِين بأَن هَذا الساعي رَجُلٌ

سَــيءٌ
ولكن لا تحزَني لِذلك ، يا أُمَّاه
غَدا هو يَوْم السُّوق ، في القرْيَة
فَابعَثي الخَادِمَة لكي تشتَري وَرَقاً وقَلَماً
فَسَوف أكتُبُ لَكِ ، أَنا. رسَائِل أَبي
ولَن تَجدي خَطَأً واحِداً فَيها
سأكتبُها كُلَّها من الأَلِف الى اليَاء
ولكن لِمَ تبتَسمِين؟ يا أُمَيْمَةَ.
أَلا تُصدِّقِي ، أَنَّني قادِرٌ علَى أن أَكتُبَ كتَابَةً جَيِّدَةً
كما يَفْعَلُ أَبي؟
سَوف أُسَطِّرُ الوَرَق تسْطِيراً دَقِيقاً
وأَكتُب كُلَّ الكَلِمَات بِحُرُوفٍ كَبِيرَةٍ جَمِيلَةٍ
وحِين أُنْهِي رسالتِي الصَّغِيرةَ
فلا تُفكِّرِي في أَنَّني سَأَكُونُ من الغَبَاء
بحيث أُودِعُها ، كما يَفْعَلُ أبي
تِلك الحقيبة المُفْزِعَةَ

التي يَحْمِلُهَا سَاعِي البَريد
سأحْمِلُها إليك بنفسي دُون تَبَاطُؤٍ
وأقرأُهَا لَك كلِمة ، كلِمَةً
إنّي أعرِفُ أنَّ الساعي لا يحِبُّ
أنْ يَحْمِل إليك الرَّسائِلَ الجمِيلَةَ
حَـقاً

البطــــل

يَا أمّاه ، لِنتصَوَّر أنّنا نَتأهَّبُ للرّحيلِ
إلى بلد مجْهولٍ غريبٍ محفوفٍ بالمَخَاطِرِ والأَهْوالِ
أنتَ راحِلةٌ فَوقَ هوْدَجِكَ
وأنا أرْكُضُ فَوقَ مُهْري الأحْمَر إلى جوارِكِ
والوَقتُ مساءٌ ، والشمسُ تميلُ للغُروبِ
ومروجٍ (جواردِيّي) رَمَادِيَّةٌ واهِنَةٌ
والأَرْضُ جافَّةٌ وموحشَةٌ
وأنت قد شعرْتَ بالخَوفِ ، وأخذْتِ في التّفْكيرِ والسؤالِ
لا أدري إلى أيْنَ وصَلنَا ؟
فأجيبكَ يا أمّاهُ لَا تخَافِي ولا تحْزني .
والسّهلُ مُغطّى بالأعشابِ الوَاخِزة
والطريق ضيِّقةٌ ومُنْعزلةٌ
ولا تشَاهِدُ القُطْعَان في الحقُولِ

فقد عادت كُلّها إلى حظائِرهَا
والظُّلْمةِ تسُودُ الأرْضَ والسّماء
ونحنُ لَا نَدْري وجْهتنا على التحديد
وفجْأةً تهْتِفين بي ، وتَسْأليَنْي هَمساً
أيِّ نُورٍ هذا الذي يتلألأ هُنَاكَ
قُربَ الهَضْبَةِ؟
وحينئذٍ يُسْمَعُ صُراخٌ مُخيفٌ
وبعضُ الشخوص تهُبّ مُسْرِعةً نَحْوَنَا
وأنَتْ جالِسَةٌ فَوقَ هَودَجِكَ
وتَصِلّين مُرَدَّدة جميعُ أسْماءِ الآلِهَةِ
ويَرتَجِفُ الحمَّالون من الخَوْفِ
ويُختَفُونَ بَينَ الأدغالِ الشائكةِ
وأصرُخُ فيك أمّاه لَا تخَافِي .. إني هُنا
وسأدافعُ عَنْكَ
وبأيْديهم عِصيٌّ طَويلَةٌ
وشعورُ مَنْفُوشَةٍ فوق رؤوسِهمْ
يَقْتَربُونَ منّا

فأصْرِخُ فيهم ، احترسوا أيها الأنذَالُ
فإذا تقدّمتُمْ خُطْوةٌ أخرى
فسَيكونَ مصيرَكم الموتُ
ويُرْسِلونَ صَرْخةٌ أخرى
ويَنْدَفِعونَ إلى الأَمامِ
وتُمسكين أنت بيدي
يا طفلي العزيز ، أسألك بحقّ
السَّماء أن نَبْتعِدَ عَنْهُمْ
وأقولُ لَكِ يا أُمَّاهُ(... راقبي
ما أفْعــل)
ثم أدفُع جوادي في ركْضَة جَموحٍ
والسيف والترسُ يُقَعْقِعَانِ
والمَعْركةِ رهيبةٌ جدّا
قد تبعثُ في أطرافِكَ الإرتعاشاتِ البارِدةِ
لو رأيتهَا من فوق
ويهْربُ الكثير منهم

ويُضْحى بَعْضُهُمْ أشْلاءً ممزّقةٍ
وأعرِفُ أنكَ تُفكّرين وأنتِ
جالسَةٌ منْفردة ، أن ابنكَ
قد قُضيَ عليّه
ولكنّي أجيئتكِ ، مخضباً بالدّماء
وأقول لك يا أمّاهِ ، لقد انتهت المعْركةُ
فتَخْرجين إليّ وتُقبلينني وتَضمّينني
إلى قلبــك
وتقولينَ وأنتَ تتحدثين إلى نفسك
لَا أدْري ما كَانَ يُمْكنُني أن أفْعَلَ
لَوْ لم يكُنْ لي ابن يَحْرُسُني
في كل يوم تَقع آلاف الحوادِثِ
التي لا جدوى مِنْهَا .
لِمَاذا لا يُصْبِحُ مثل هذا الخيال حقيقةً ؟
ستكون مثل أقاصيص الكُتبِ
ويقُولُ أخي ... أهذَا مُمكِن ؟

كنتَ أظنّكَ ضعيفاً.
وفي القرية يقُولُ الجميعُ في دهْشَةٍ
أليس من حُسْنِ الحَظّ
(أن الطفلَ كَانَ معَ أمِّهِ)

النهـــاية

لقد حَانَتْ سَاعَةُ الرَّحيلِ ، يَا أُمَّاهُ .
وإنّي أتأهّبُ للرَّحيلِ
وعِنْدَ الظَّلْمَةِ التَي تَشْحُبُ عنْدَ الفَجْرِ الوَليدِ
تمدِّين ذِراعكِ في الفراشِ
بحْثاً عن طِفْلِكَ الصّغيرِ
فسَوفَ أقُولُ لَكَ
أن الطِّفْلَ غيْرَ موْجُودٍ ، يا أمَّاهُ
وإني أتأهّبُ للَّرحيلِ
سأصيرَ تَياراً واهناً مِن الهوَاء
وسأداعِـبُكَ
وسَأصبِحُ موْجاتٍ صَغيرةٍ في الماءِ
وحينَ تستحِمّين فيه
فَسَوْفَ أقَبّلِكَ وأعاوِدُ التّقبيلَ

وفي لَيالي العاصِفةِ
حينَ تَسْقُطُ الأمطَارُ فوْقَ الأوْراَقِ
سَتصْغين إلى هَامِساً في سَرير كِ
وبَريقُ ضَحْكتي
سيدْخُلُ في غُرفَتِكَ معَ أضْواءِ البَرقِ
عَبْرَ النَّافِذَةِ المفْتوحةِ
وإذَا سَهِرتِ إلى سَاعةٍ مُتأخَّرة من الليلِ
مُفكرةً في طِفْلِك
سَوفَ أغنيّك من فَوقِ النُّجوم
تَرنيمَةً ... نامي يا أميْمةُ
وسأحُطُّ خِلسةَ فَوقَ سَرِيرِكِ
مع أشَعَّةِ القَمْر الشَّارِدَةِ
وسَأستَريحُ في أحْضَانِكَ
بَيْنَمَا أنْتِ مُسْتغْرِقةٌ في النّومِ
سأصْبِحُ حُلْماً ، وأتسلَّلُ إلى أعمَاقِ نوْمِكَ
عبْرَ أجْفَانِكَ
وحِينَ تَستيقظينَ

وتَتَفقدينَ ما حَوْلَكِ
خائِفَةً مُرتَجِفَةٍ
فإني أُحلِّقُ هَارباً في الظلام
مِثْلَ الحُباحِبِ الصّغيرِ الضئيل
وحين يجْري الإحتِفَالُ الكبيرُ
بِعيدِ (بُوجـا)
ويأتي أبناءُ الجيرانِ للّعبِ
حولَ البيتِ
فإني سَأَمْتَزِجُ بألحَانِ الناي
وأنبِضُ طِوالَ النّهارِ في قَلْبِكَ
ستأتي الخالةُ الصّغيرةُ بهذا يَا العيدُ
وتَسألك ، يا أختاه ، أينَ طِفلنَا
فَسَتقولين لَهَا في لُطفً ، يا أمَّاهُ
إنه في بُوبو يء عَينيَّ
وفي جَسَدي ، وفي قلبِي .

النداء

عندما رَحَلَتْ
كانت الليلةُ مُظْلِمَة
وكانوا يَنَامُو ن
ومَا تزال اللَّيلةُ مُظْلِمَة
حينَ نادَيْتُها
عُودي يَا حَبِيبتي
إن الكَوْنَ نَائِم ،
ولن يَدْرِي أَحَد بِكِ
إذا عُدْتِ إليّ بُرْهَةً وَاحِدَة
فإن النّجوم تُحَدِّقُ في النُّجُوم .
عَنَدَما رَحَلَت
كانَت الأشجار تُزْهِر

والرَّبيعُ في رَيْعَانِه
والآن ، كُلّ الأَزْهَار تَفَتَحَّت
وأنَا أَدعُوها
عُودِي يا حَبيبتي .
إن الأطفالَ يَجْمَعُون الأَزْهَار وَينْثُرُونَها
في لُعْبَةٍ عَابِثَة
فإِذا عُدْتِ
وأخَذَتِ زَهْرةً
فَلَن يَفْطِنَ لِذَلك أَحَد
فالذين اعتَادُوا اللَّعِب
ما يَزَالُونَ غَارِقَين فِيه
هَكذا ، هِي الحَيَاة
وأَسْمَعُ ثَرْثَرَتهم
فأهْتِف
عُودِي يَا حَبِيبتي .

إِن قَلْبَ الأُم يَطْفَحُ بِالحُبِّ
فإِذا عُدْتِ وانَتزعَتِ مِنها
قُبْلَةً صغيرَةً واحِدة
فَلن تُثِيرَ حَسَدَ أَحَدٍ مِن النَّاس . .

الياسمينات الأولى

آه، هذه اليَاسِمينَات
هذه الياسمينات البيضاء
تعيدُ إليَّ ذِكْرى اليَومِ الأَول
الذي ملأتُ فيه كَفِّي
بهذِه الياسمينات
الياسمينات البيضاء
لقد أَحَبْبتُ نُورَ الشمس
وكانت السَّماء خَضْراء
والأَرض كُلُّها خَضْراء
وأصغَيْت إلى خَرِير النَّهْرِ
في ظُلْمَةِ اللَّيْل
أمَّا أَصَائِلُ الخَرِيف

فقد جَاءَت لاستِقْبَالي
في أَقْصَى مُنْعَطَفَات الطَّريق
من الأَرض المَهْجُورة
كَأَنَّها عَرُوس
تَرْفَع خِمَارَ ثَوبِ عُرْسِها
لِكَي تُقَبِّلَ حَبِيبَها
ومع ذَلك فَإِنّ ذِكْرَى
اليَاسمِينات الأولى البيضاء
التي وَضَعَتْهَا في يَدِي
حين كنتُ طِفْلاً
ما تَزال حُلْوَة عَذْبَة
لقد نَعِمْتُ بأَيَّام عَدِيدَة هَانِئَة
في حَيَاتي
وضَحِكْتُ مع أصدَقاء مُبْهِجِين
في لَيَالي العِيد

وفي الأَيام الرّماديةِ الممطرة.
غَنَّيْتُ أغْنِيَات خَامِلَة
وطَوَّقْتُ عُنُقِي
بِعِقْد (باكولا)
الذي ضَفَرَتْهُ يَدُ المَوْت
ومعَ ذلك
فإن الذِّكرى مَا تَزالُ
حُلْوَةً عَذْبَة
لِتلْك اليَاسمِينات.. البَيْضَاء الأُولى
التي ضَمَمْتُها بِيَدي
عِنْدَمَا كُنْتُ طِفْلاً صَغِيراً...

شجــرة البنيــان

يا شجَرَة البانْيَان
ذَاتِ الأطْرَاف المُهْمَلَةِ
القائمَةِ عِند ضِفّة الغَدِيرِ
لقد نسيت الطِّفل الصَّغير
مِثل نِسْيانِك الطُّيورَ التي حَطَّتْ فَوْقكِ
وَصَنَعَت أَوْكارَهَا
بيْنَ أغْصَانِك ، ثم طارت عَنْكِ
وهَجَرْتــك؟
ألا تَذْكرِين كيف كان يجْلِس إلى النّافِذةِ
مُلاحِظاً في دَهْشَةٍ
تَشَابُكَ جُذُورِكِ التي تغُوصُ
في أعمَاقِ الأرْضِ .
النِّسَاءُ يذْهَبْن لمَلْءِ الجرَارِ

عند الغَديــر
وظِلُّكِ الأسْودُ الهائِل
يَتَلوّى فوْقَ المَاءِ مِثل نُعَاسٍ
يُقاوِمُ من أجْلِ اليقْظَةِ.
وضَوءُ الشّمــسِ
يرْقُصُ فوْقَ الأمْوَاج
مِثل مكُوكاتٍ صغِيرَةٍ غيرِ مُستَقِرّة
تَنْسِجُ دِيباجاً مُذَهّباً.
وبَطّتَانِ تَسبَحَان في الغَدِير
قُرْبَ الضِّفَّة المُغَطّاة بالأسَلِ
والطِّفْلُ يَجْلِسُ صامِتاً مُسْتَغْرِقاً في التفْكِيرِ
يتَمنَّى أن يكُون رِيحاً
تُصَفِّرُ بيْن أغْصانكِ الهَفَّافَةِ
أَن يَكُون ظِلا يمْتَدّ معَ النّهارِ
فوْق المَــاء
أن يكُون عُصْفُوراً يحُطُّ فوْقَ أعْلَى الغُصُون

وأن يَسْبَحَ مِثل ذَلك البَطّ
بيْن الأَثَلِ والظِّلالِ...

مباركة

لِتُبَارِكْ هَذا القَلْبَ الصَّغِير
هَذه الرُّوح البَيْضَاءَ التي كَسَبَتْ
قُبْلَةَ السَّمَاءِ لأرْضِنَا
إنّه يُحِبّ نُورَ الشمس
ويُحِبُّ رُؤْيَةَ وَجْهِ أُمِّه
ولَم يَتَعَلَّم بَعْدُ كَيْفَ يَحْتَقِرُ التُّراب
ولم يَتَلَقَّن شَهْوَةَ الحُصُولِ على الذَّهَب
فَضُمَّهُ إلى قَلْبِكَ وبارِكه
لَقد جَاء إلى هَذا البَلَد
حَيث تَتَقَاطع مِئَاتُ الطُّرُق
ولا أَعْرِفُ كَيف اخْتَارَك من بَين الجُمُوعِ الحَاشِدَة

وجَاء إلى بَابِكَ ، وأمْسَك بِيَدِك
إنَّه سَيْتَبعُك ضَاحِكاً
وقد خَلاَ قَلْبُه مِن أي شَكٌ
فَلْتَحْفَظ لَه ثِقَته فِيك
ولتَقُدْه إلى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيم
ولْتُبارِكْهُ
وضَعْ يَدَكَ فَوْقَ رَأْسِهِ
وَلِتُصَلِّ من أجْلِه
حتَّى إذا ثَارَت الأمْوَاجُ مِنَ تَحْتَه
فإن الرِّيحَ مِن فَوْقِه تَنْفُخُ أشْرِعَتَه
وتَدْفَعُه إلى مَرْفَأ الأمْنِ والسَّلاَم
وفي استِعْجَالِكَ
لاَ تَنْسَه
ودَعْهُ يَقْتَرِب من قلبِكَ
وبَارِكْهُ

رغبـــاب

حَين يَدُقُّ الطبْلُ العاشِرة صَبَاحاً
أسيرُ نحوَ المدرسَةِ
وفي كلِّ يــومٍ
أقابِلُ في طرِيقي بَائِعاً مُتجوِّلا يهتِفُ :
أسْوِرَة ، أَسْوِرَة بلُوريَّة
لا شَيء يدفَعُه إلى العَجَلة
وليس هُناك طرِيقٌ يتَوَجَّبُ عليه سلُوكها
ولا مكَان يتحتّم أن يَذْهَبُ إليه
ولا ساعَةُ مُحَدّدة يعودُ فيها إلى بَيْتِهِ
أريد أن أكُون بائِعاً متجوِّلا
وأن أهتِفُ كُلّ يومٍ في الشارع
أَسْوِره ، أسْوِرَة بلّورية ،
وفي الرَّابعَة مَسَاءً

حِين أعُودُ مِن المدرَسَة إلى بَيْتي
أَرَى عَبْرَ البَّوابةِ
بُسْتانياً يَعْزِقُ الأرْضَ
وهو يفْعَلُ بِمِسْحَاتِه ما شَاء
ويُلَطِّخُ أثوابَه بالتُّرابِ
ولا أحَد يَلُومُه أو يُعَنِّفُهُ
إذا لَفَحَتْهُ الشَّمسُ ، أو قرَّرالإستِحْمَامَ
أريدُ أن أكُون بُسْتانِياً
أعْزِقُ الحدِيقة طُول اليَوْمِ
دُون أن يُوقِفني أحَدٌ
وما تكَاد تهْبِطُ الظُّلْمَةُ في المَسَاءِ
وَتَدْعُوني أُمّي إلى النّوم
أرى عبْر النافِـذة
حارِساً يَذْرَعُ الطَّريق جِيئةً وذَهَاباً
الطَّرِيقُ مهْجُورة ومُظلِمة
والفانُوسَ قائم مُستقِيم كأنّهُ عِمْلاق

بِعَيْن حَمرَاء واحدة في رأسِهِ
ويهُزّ الحَارِسَ الفَانُوسَ
ويَسيرُ إلى جانِب ظِلِّهِ
ولا يذْهَبُ للنَّوْمِ طِوالَ الحَيَاة

أرِيد أن أكُونَ حارِساً
وأذرُع الشَّوارِع ليْلا
جيئَةً وذهَاباً
وَأطْرُدَ الظِّلال بِمِصْبَاحي

الهدية

أُرِيدُ أَن أُعطِيكَ شَيئاً، يَا بُنيّ.
نَظَراً إلى أَننا نَنْسَاقُ إلىَ تَيَّارِ الكونِ الجَارِف
فَإِن حَياتَنَا سَتَفْتَرِقُ
وحُبَّنَا سَيُنْسَى
ولَكِنّي لَسْتُ غَبِيًّا إلى هذا الحَدّ
حتى أرجو شِرَاءَ قلبكِ بِهَدَايَاي.
شَابَّةٌ غضّةٌ هِيَ حَيَاتُكَ
وطَوِيلَةٌ هِيَ طَرِيقُكَ
وأنت تَشْرَبُ في جُرْعَةٍ وَاحِدَةٍ
الحُبَّ الذي نَحْمِلُه إِلَيْك
ثُمَّ تَلْتَفِتُ وتُشِيحُ عَنَّا وتَهْرَبُ مِنَّا
إن لَكَ أَلعَابَك ورُفقاءَ لهوِك

وأَيّ ضَيْرٍ إذَا لمَ يكُنَ لَدْيك الوَقْتُ
لِتَفكّرِ فِينَا؟
سَيكُونَ لَنا وَقْتٌ كَافٍ
عِند الشيخُوخَة
لِكي نَعُدَّ الأَيامَ التي مَرَّت
ولِكَي نَحْفَظَ في قَلْبِنَا
مَا فَقَدَتْهُ أَيْدِينَا إلى الأَبَد.
إِن النَّهْرَ يَمْضِي مُسْرِعاً ومُغَنِّياً
مُكْتَسِحاً كُلَّ الحَواجِز
ولكِن الجَبَالَ تَظَلُّ باقِيَةً ومُتَذَكِّرَةً
وهي تُتَابِعُهُ بِحُبِّهَا

* * *

أغنيتي

أغْنِيَتي هَذِه
سَتَلُفُّ مُوسِيقَاها حَوْلَكَ
وتُطَوِّقُكَ يَا بُنّي كَأَذْرُعِ الحُبّ .
أغْنِيَتي هَذِه
سَتَلْمَسُ جَبْهَتَك
كَقُبْلَةِ البَرَكَة .
وحِينَ تكُونُ وَحْدَك
سَتَجْلِسُ هِيَ إلى جِوَارِك
وَتهْمِسُ في أُذْنِك هَمَساتِها .
وحِينَ تكُون بَيْن حُشُودِ النَّاس
فإنَّها سَتُسَوِّرُكَ بِعَدَم الاكتِرَاث
وَسَتكُون أغْنِيَتِي

جَناحَيْن ِ لأَحْلاَمِك

وتَحْمِلُ قَلْبَكَ إلى حُدُودِ المَجْهُول

سَتَكُون لَكَ كالنَّجْمَةِ المُخْلِصَة

في أعَالي السَّمَاء .

تَهْدِيكَ الطَّرِيقَ حِينَ يَشْتَدَّ ظَلاَمُ اللَّيْل،

وأُغْنِيَتِي هَذِه

سَتَجْلِس فِي بُؤْبُؤي عَيْنَيْك

وتَحْمِلُ بَصَرَكَ على النَّظَر في قَلْبِ الأَشْيَاء

وحِين يُسْكِتُ المَوْتُ صَوْتِي

فَإن أُغْنِيَتي سَوفَ تَتَحَّدثُ إلىَ قَلْبِك .

العقد الأخير

صَرَخْتُ في الصَّباحِ
تَعَالَوا، اشتَرُوني
وأنا أَمْشِي فَوق الطَّرِيقِ المُبَلَّطَة
فَجاءَ المَلِكُ فَوْقَ عَرَبَتِه
شَاهِراً سَيْفَه
وأَمْسَكَ بِيَدِي قَائِلاً:
سَأَشْتَرِيكَ بِسُلْطَانِي
ولَكِنّ سُلْطَانَه لَم يُسَاوِ شَيْئاً
وَرَجَعَ فَوْقَ عَرَبَتِه.
وفي وَهَجِ الظَّهيرة
كانت أَبوابُ البُيُوتِ مُغْلَقَة
وكُنْتُ أَجُوبُ الطَّرِيقَ المُلْتَوِيَة

وخَرَج رَجُلٌ يَحْمِلُ كِيساً من الذَّهَب
وَتَأمَّلني ثُمّ قَال :
سَأَشْتَرِيك بِنُقُودي
وَوَزن نُقُودَه قِطْعَة قِطْعَة
ولَكِنَّني تَابَعْتُ طَريقي
وَكان المَسَاء
وسِيَاجُ الحَدِيقَة كَان مُغَطًّى بالزُّهُور
وَخَرَجَت صَبِيَّةٌ جَمِيلَةٌ وقَالَت :
سَأَشْتَرِيك بابتِسَامَتي
ولكَن ابتِسَامَتَها تَلاَشَت
وانفَرَطت في دُمُوع
وعَادت وَحْدَها في الظَّلام .
كانت الشمْسُ تَلْمَعُ فوقَ الرِّمَال
وأَمْوَاجُ البَحْرِ تَنْكَسِرُ ثَائِرَةً مُزْبِدَة ،
وطْفِلٌ كانَ جالساً يَلْهُو بالقَوَاقِع

فَرَفَعَ رَأْسَه نَحْوي
وَبَدا كَأَنَّه يَعْرِفُني
وقال :
سأَشتَرِيكَ بِلاَ شَيء .
ومن تِلك اللَّحْظَة جَعَلَ مِنّي العَقْدُ
الذي أُبْرِمَ عن طريق اللَّعِب
إنْسَاناً حُرًّا

الملاك الطفل

إِنَّهم يَصْرُخُون وَيَتَصَارَعُون
وَيشْكُونَ وَيَقْنَطُون
ومَعَارِكُهم لاَ تعرِفُ النِّهَايَة .
فلتَكُن حَياتُك بَيْنَهم
يَا بُنَي
مِثْلَ لَهيبِ النُّور
صَافِيةً وقَّادَةً
تُذْهِلُهم بِسِحْرِها .
إنَّهم قُسَاةٌ
في حَسَدِهِم وأَطْمَاعِهِم
وَكلِماتُهم مِثل السَّكَاكِين الخَفِيَّةِ

ظَامِئَةٌ إلى الدَّم
فَاذْهَبْ إِلَيهم ، وأَقِم يَا بُنيَّ
بَيْنَ قُلُوبِهم العَابِسَة .
وضَعَ نَظَراتِك اللَّطِيفَة فَوْقَهُم
مِثل أَمْن المَسَاءِ الرَّحِيم
يُخيِّمُ على صِرَاعِ النَّهَار .
دَعْهُم يَتَأَمَّلُون وَجْهَكَ
يَا بُنَّي ويُحَدِّقُون إليه
وليتَعَّرفُوا هَكَذا عَلى مَعْنَى كُلِّ الأَشْيَاءِ
واعمَلَ على أَن يحبّوك وأَن يَتَحابُّوا .
تَعَالَ بَعْدَ ذَلِك وخُذْ مَكَانَكَ
في قَلْبِ اللاَّنِهَائِي يَا بُنيَّ
وافتَح قَلْبَكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ مِثل الزَّهْرَةِ
التِي تُنَوِّرُ

وعِند الغُرُوبِ

إخْشَعْ في صَمْتٍ

وتَمِّمْ عِبادَة النَّهَارِ

* * *

مَنْ أنتَ أيُّها القارِئ،

الذي ستَقْرأُ شِعْري بَعْدَ مِئاتِ الأعْوامِ

لا أستَطيعُ أن أبْعَثَ إلَيْكَ

زَهْرةً واحِدةً من ثَرْوةِ هذا الرَّبيعِ الزّاهِرِ

ولا خَيْطاً ذَهَبِيّاً

مُنْسابّاً من السُّحُبِ البَعيدَةِ.

افْتَحِ الأبْوابَ

وانْظُرْ حَوْلَكَ

ومِن بُسْتانِكَ الزّاهِرِ

اقْطِفِ الذِّكْرَياتِ العَطِرَةَ

للزُّهورِ التي ذَبُلَتْ مُنْذُ مِئةِ عامٍ

ومِن فَرْحَةِ قَلْبِكَ

يُمْكِنُكَ أنْ تُصْغي إلى البَهْجَةِ الحَيّةِ

التي غَنَّيْتُها أنا في صَباحٍ رَبيعيٍّ

مُرْسِلاً صَوْتَكَ الفَرِحَ البَهيجَ

عَبْرَ مِئاتِ الأعْوامِ.

الدار العربية للكتاب

المقر الرئيسي: شارع ثورة [illegible] ـ ص. ب: 3185 طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
ـ هاتف: 30344 ـ 47287 ـ تلكس: 20003 الكتاب

الفرع الرئيسي: 4 ، نهج 7101 ـ المنار 2 ص. ب: 1104 [illegible] 1004 تونس ـ الجمهورية التونسية
ـ هاتف: 236600 ـ 236025 ـ تلكس: 14966 كتاب